سماحة آية الله الشيخ عفيف النابلسي

أوراق متناثرة

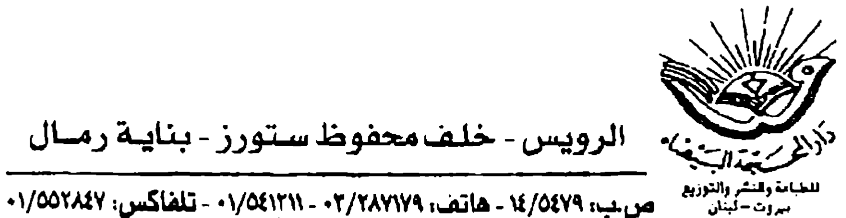
مقالات في الدين والمجتمع والسياسة



دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

ISBN 978-614-426-181-1



الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٢/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

أوراق متناثرة

مقالات في الدين والمجتمع والسياسة

سماحة آية الله الشيخ عفيف النابلسي




بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا
محمد وآله الطاهرين

وبعد

فإن هذا الكتاب يأتي في سياق سلسلة كتب تحوي جملة من المقالات والكتابات السياسية والفكرية والدينية، صدر منها «على طريق الحياة ـ كلمات في السياسة والدين»، «شذرات مضيئة ـ صفحات من وحي التبليغ وماضي الذكريات»، «تحديات الوحدة وثقافة الحوار» و«نظرات ورؤى في قضايا المرأة».

وهذا الكتاب هو الخامس ضمن هذه السلسلة المتنوعة من المقالات الجديدة والقديمة المتفرقة في ثنايا الكتب والأوراق والتي نعمل على نشرها تعميماً للفائدة والمنفعة.. لما تحويه من علم ونصائح وإرشادات يستفيد منها أهل السياسة وأهل العلم من رجال دين وطلّاب حقيقة في زمن قلّ فيه الناصحون

الصادقون وعمّت فيه الفتن والضلالة.. فكان لا بدّ للعالم أن يظهر علمه ويقدّم ما لديه في طريق الهداية والإرشاد ليستقيم المجتمع وتصلح الأمة فتسير على جادة الحقّ والصواب..

ومن هنا كانت هذه الكلمات نوراً ساطعاً يضيء طريق السائرين والباحثين، وفكراً صافياً يشرح صدور المتنورين والمتعلمين.. سائلين الله تعالى القبول ودوام التوفيق..

والحمد لله رب العالمين.

مكتب الدراسات
مجمع السيدة الزهراء عليها السلام ـ صيدا
في ذكرى ولادة السيدة زينب عليها السلام
٥ جمادى الأولى ١٤٣٤هـ
الموافق ١٨ آذار ٢٠١٣م

مقالات

في

الدين والمجتمع

دور عليّ عليه السلام في فتح مكة

مقدمة:

هل بإمكانك كتابة التاريخ الإسلاميّ، أو الفقه الإسلاميّ، أو أي شيء في الإسلام دون عليّ عليه السلام؟ وهل باستطاعتك أن تسرد وقائع التاريخ دون المرور بعلي؟ وهل غنى السيف إلا في يده، أو طرب القلم إلا من مداده؟

وهل يُحاصَر عليّ في فتح مكة أو هوازن وحنين؟ وهل هناك شاردة أو واردة في هذا الإسلام المديد المالئ الدنيا وشاغل الناس إلا كان علي أصل وجودها أو همزة وصلها؟

فهو في المعارك ضيغمها، وللرايات قائدها، وفي الحملات فارسها المرتجى، وهو في الشجاعة أوحدها، وفي الكلمة مبدعها، وفي الليالي محييها وعابدها؛ فهو راهب الصومعة المتصوف بل المستغرق في الصوفية، وهو في المعركة الضارب بالسيفين الطاعن بالرمحين.. جمعت في صفاتك الأضداد. وهو في الحلبة لاعبها وأولها، وفي الفصاحة سحبانها، وأمّا في البلاغة فهو ابن بجدتها وقطب رحاها؛ ويكفيك منه نهج

بلاغته، وسماء فصاحته، وبعد أن انقطع الوحيُ وحلّق النبيّ ﷺ إلى جنة الخلد، هطلت عليه وحده ديمُ المعرفة، وأصبح مصدرها الوحيد ـ فقهاً، علماً، أدباً، فضلاً، زهداً وورعاً ـ فهو الاستاذ في المسجد والإمام في المحراب، والخطيب على المنبر يتكلم والحقّ في لسانه، ويحارب والحقّ في سنانه ـ كيفما مال كان الحقُّ معه وفيه ـ «عليٌّ مع الحقّ والحقُّ مع علي يدور معه كيفما دار».

وهل يمكنني بعدُ أن أتحدث عن عليّ في غزوه أو حربه أو يختصر على قضية أو واقعة أو سانحة أو قصة تاريخية أو قصيدة مديح يضوع منها الأدب أو مآثره يفوح منها طيب ذاك النسب.

وإذا كان علي شامخاً شموخ الجبال، ومجنحاً تجنّح الصقور، وعالياً كالقمر ومشرقاً كالشمس وكريماً كالريح الهبوب، وعطوفاً كالأم ورؤوفاً كالأب وصلباً كالصخر وكبيراً كالجبل، وإذا كان علي محور هذه الأمة وميزانها وصمام أمانيها، ونجمها المضيء وشمسها المشعة، وإذا كان منهجه التواضع وملبسه الاقتصاد وطعامه الجشب، وطريقته الزهاده، يتفجر العلم بين يديه وتحنو شآبيب البلاغة حواليه.

إذاً ماذا تقول في علي؟ وقد قال الكتّاب في المتنبي: إنه مالئ الدنيا وشاغل الناس، وهل المتنبي إلا نقطة من ذلك البحر الخضم أو حصاة من ذلك الجبل الأشم؟

فيا سيدي عذراً عذراً إذا جفّ القلم، وحوصر الكلم وحَبا

البيان وتلعثم اللسان، فعذرنا فيك أنك من لا يُنال كعب قداسته، ولا يلحق غبار سياسته، يكل فرسي عن الجري فيك، ولساني عن القول بقوافيك، غير أني لا أعدم القارئ ولا أحرمه لمحةً من بهاك ولفتةً من سناك.

هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها

البداية:

أحداث الفتوحات مرتبط بعضها بالآخر، كلما اكتشفتَ فتحاً كلما هان عليك كشف الفتوحات الأخرى، حيث لا يمكنك أن تتحدث عن جانب دون التحدث عن جوانب أخرى. ومن هنا لا يمكننا الحديث عن فتح مكة دون الالتفات إلى الأسباب والأحداث التي تهيأت وهيأت موسم الفتح، والأحداث التي كانت قبل الفتح بسنة أو سنتين. وقوة قريش وأوضاعها الاقتصادية، ومكانتها بين العرب. ومكة وأثرها أو البيت وأثره في قوة قريش، والارستقراطية القرشية، وأهمية مكة ومستقبل الدعوة.

إنّ مكة لم تغب لحظة واحدة عن قلب رسول الله ﷺ، وكم تمنى لو أتيح له الظرف ليفتحها ويجعلها قاعدته الكبرى، ولكن أنّى له ذلك وقريش آخذة بالعناد، ويزيدها شرّاً بل ولوغاً في الشرّ أن مكة بعيدة عن طرق المواصلات الدولية. والآخرون من الدول العظمى لا يهمهم ما يحدث ما دام لا تضر بمصالحهم.

ويرى الامتيازيون وبحسب التعبير القرآني المترفون في قريش: أن هذه البلدة واجهتهم وتجارتهم ومزرعتهم، وليس من صالحهم أن يتنازلوا عنها لمحمد أو غيره من المصلحين. فمن مصالحهم الدفاع عنها وعن أمجادها ومحاربة أي دعوة تحاول أو تفكر في السيطرة عليها.

والنبيُّ ﷺ لا يريد لقريش أن تنكسر، ولا يريد لمكّة أن تندثر، وإنما يريد مكّةَ ليعيد لها اشراقتها، ويريد لقريش أن تدخل في الإسلام وتعبد ربها؛ لتظهر عزتها بين العرب، ويريد للإنسانية أن تتجه اتجاهاً خالصاً نحو الله. من هنا كان يقتنص الفرص ليلعب هذا الدور. وصبر ما بوسعه من الصبر، وتجرّع المرارة عقيب المرارة حتى تفتح مكة دون حرب، وانتظر اليوم المناسب يوم تقوى دولته، وتضعف شوكة قريش لتنهزم أمامه دون قتال، وتنتهي معركة الإسلام ضد أعدائه، ويدخل الناس في دين الله أفواجاً.

وظلّ رسولُ الله ﷺ مستمرّاً في دعوته، جادّاً بمتابعة قضيته، عاملاً غير عاطل، والإسلام يزداد رسوخاً والدين انتشاراً، وتشتد قوة المسلمين، ويبدأ النبيّ ﷺ ببعث الرسائل إلى ملك الفرس (كسرى) وملك الروم (قيصر) يدعوهما فيها إلى الإسلام ـ أسلم تسلم ـ وتواصلت الغزوات المباركة والسرايا التي يقودها رسول الله ﷺ بنفسه حتى خضعت لسلطانه واحاتُ الحجاز وصحاريه، والقبائل العربية التي أخذت تترى إليه لتعلن إسلامها

بين يديه إلا قريش التي لم ترجع عن عنادها وجبروتها، ولكن رسول الله ﷺ كان يأمل أن يأتي اليوم الذي تنضم فيه قريش إلى صفوف المسلمين وأن الزمن كفيل بمساعدته.

وبدأت رحى الأيام تدور دورتها، وبدأ محمد يملك العقول والقلوب وإذا بالعرب الأعداء قد تركوا عداءهم له وتحولوا إلى صفوف المسلمين، وإذا بهم من أكثر المدافعين عن سلطان الإسلام. وتسقط خيبر ويقوى ركن الإسلام ويخاف القرشيون ولكنهم ظلوا على عنادهم.

فتح مكّة:

إن الدخول الجماعي في الإسلام الذي شهدته قبائل العرب المتاخمة لبلاد الشام بعد غزوة مؤتة لم يهز قريشاً وحلفاءها، ولم تفكر قريش بما قد تصير إليه الأحوال في قاصي الجزيرة وأدناها، فظلت على وهمها بأن المسلمين قد هزموا في موقعة مؤتة هزيمةً نكراء، وأنهم باتوا في حالة يرثى لها، أقلها الضعف والهوان وهذا ما أعادها إلى مراجعة حساباتها وردّها إلى التفكير بحرب محمد ﷺ، ونبذ مواقفها السابقة معه، وهي المواقف التي أجبرت فيها بعد الحديبية على التخلي عن السيطرة التي كانت لها. وقد أفقدتها تلك المواقف الهيبة التي كانت تتصف بها، وخسرت مكانتها الأولى بعد عمرة القضاء فما عليها إذن والحالة تلك إلا العمل لاستعادة تلك السيطرة كاملة،

واسترداد الهيبة والمكانة اللتين كانتا لها غير منقوصتين، وهذا لن يكون إلا بمقاومة محمد ﷺ مقاومةً ضاريةً، والشروع في قتال من دخلوا معه بحكم عهد الحديبية(١).

صلح الحديبيّة:

كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وقريش قد قضى أنّه مَن أحبَّ أن يدخلَ في عهد محمد وعقده فليدخل فيه، ومَن أَحب أن يدخل في عهد قريش وعقدهم فليدخل فيه. وكانت خزاعة قد دخلت في عهد محمد ﷺ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وكانت بين خزاعة وبني بكر ثاراتٌ قديمةٌ سكنت بعد صلح الحديبية، وانحاز كلٌّ من القبيلتين إلى فريق المتصالحين، فلما كانت مؤتة - وصل لقريش أن المسلمين قُضي عليهم - خُيّل إلى بني الدِّيل من بني بكر بن عبد مناة أن الفرصة سنحت لهم، ليصيبوا من خزاعة بثاراتهم القديمة، وحرّضهم على ذلك جماعة من سادات قريش منهم عكرمة بن أبي جهل، وأمدوهم بالسلاح.

وقوع الحرب:

وبينما خزاعة ذات ليلة على ماء لهم يدعى الوتير إذ فاجأتهم بنو بكر فقتلوا منهم جماعة، ففرت خزاعة إلى مكّة ولجأوا إلى دار بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي، وشكوا له نقض قريش، ونقض بني بكر

(١) مجمع البيان الحديث: ج٢، ص٦١١.

عهدهم مع رسول الله ﷺ، وسارع عمرو بن سالم الخزاعي فغدا متوجهاً إلى المدينة حتى وقف بين يدي النبي محمد ﷺ وهو جالس في المسجد فقال:

لا هُمَّ إنّي ناشدٌ محمدا حلفَ أبينا وأبيك الاتلدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكّدا
هم بيتونا بالعراء هجّدا فقتلونا ركعاً وسُجّدا

فقال له النبيّ ﷺ: نُصرت يا عمرو بن سالم!

ثم خرج بُديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا المدينة فأخبروا النبيّ ﷺ بما أصابهم، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم، عند ذلك رأى النبيّ ﷺ أن ما قامت به قريش من نقض عهده لا مقابل له إلا فتح مكّة.

وعاد وفد خزاعة فرحاً بما حظي من التأييد، وظهرت مخاوف قريش، واجتمع حكماؤها وقرروا بعث أبي سفيان لتجديد العهد، وتمديده إلى عشر سنوات.

أبو سفيان في المدينة:

تأهب أبو سفيان، وسار من وقته وساعته حتى وصل المدينة على وجل خصوصاً بعدما رأى بُديلا ورفاقه على بعض المياه، وجعل وجهته ابنته أمَّ حبيبة زوجة النبيّ ﷺ التي تزوجها النبيُّ بعدما تركها زوجُها وتنصّر في أرض الحبشة فخطبها إلى

النجاشي. وعادت بعد فتح خيبر مع جعفر بن أبي طالب عليه السلام وجماعته الذين كانوا مهاجرين إلى الحبشة.

وأمُّ حبيبة كانت قد عرفت ما حدث، وعرفت ما نوى عليه النبيُّ ﷺ، فلم تهتم بأبيها المشرك. ولما أراد أن يجلس على فراش النبيّ ﷺ طوته عنه فسألها أبوها: أطوته رغبةً بأبيها عن الفراش أم رغبةً بالفراش عن أبيها؟

فكان جوابها: هذا فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس، فلم أحبّ أن تجلس عليه. وفوجئ أبو سفيان بما لم يكن يتوقعه من ابنته التي وجهت إليه صفعةً جعلته ذليلاً مهيناً فقال لها: لقد أصابك بعدي شرٌّ، قالت: بل هداني الله تعالى للإسلام، وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر، واعجباً منك وأنت سيد قريش وكبيرها! قال: أأترك ما يعبد آبائي وأتبع دين محمد؟

وخرج أبو سفيان بعد هذه الصفعة مكلوم الفؤاد مضعضع الفكر، مهزوز الجانب مهيض الجناح، لا يدري ماذا يفعل، أيرجع قبل أن يحقق شيئاً، أو يستمر في محاولة يائسة. فذهب إلى المسجد لعلّه يرى محمداً ﷺ ودخل على الفور يكلمه في توثيق المعاهدة وزيادة المدة، إلا أن الرسول ﷺ لم يرد عليه بشيء، وألح أبو سفيان والنبي ﷺ لا يجيب، وأصابته الحمى من هذه الصفعة الثانية فخرج على بعض مَن كان يعرف من

الصحابة، فلم ير من يساعده على مهمته، أو يتكلم مع النبيّ ﷺ حوله.

دور عليّ عليه السلام:

الدور الأول:

وكان لابدّ لأبي سفيان ـ الذي يعرف مواقع القوة ـ من أن يلجأ إلى بيت عليّ حيث دخل على أمير المؤمنين عليه السلام فوجده مع زوجته وعندهما ولداهما الحسن والحسين عليهما السلام.

فقال: يا علي! أنت أمسُّ القوم بي رحماً، قد جئتُ في حاجة؛ فلا أرجعنّ كما جئتُ خائباً، اشفع لنا عند محمد ﷺ.

فقال علي عليه السلام: ويحك يا أبا سفيان! والله، لقد عزم رسولُ الله ﷺ على أمر فلا نستطيع أن نكلّمه فيه.

وأدرك أبو سفيان حراجة الموقف فالتفت إلى فاطمة عليها السلام قائلا: وأنت يا بنت محمد! هل لكِ أن تأمري ابنك هذا ـ يعني الحسن ـ فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟

قالت فاطمة عليها السلام: والله، ما بلغ ابني هذا أن يجير بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ.

قال: يا أبا الحسن! إني أرى الأمور قد اشتدّت عليّ فانصحني.

فقال: والله، ما أعلم شيئاً يُغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك.

قال: أو ترى مغنياً عني شيئاً؟!

قال أبو الحسن: لا والله، ما أظنّ؛ لكني لا أرى غير ذلك.

وقام أبو سفيان فأتى المسجد، قائلا: أيها الناس! إني قد أجرتُ بين الناس، ولم يلبث أن خرج بركب بعيره، وينطلق عائداً إلى مكة، خالي الوفاض، يجرّ أذيال الخيبة والهزيمة، إذ لم يستطع أن يحقق شيئاً مما جاء اليه.

وقدم أبو سفيان على قومه، فسألوه: ما وراءك يا أبا سفيان؟

قال: جئت محمداً فكلمته، فو الله، ما ردَّ علي شيئاً، ثم جئت بعض أصحابه فوجدتهم أعدى الناس إليّ، ثم جئت عليّ بن أبي طالب فوجدتُه أليَنَ القوم، وقد أشار عليّ بشيء صنعته، فو الله، ما أدري هل يغنيني شيئاً أم لا؟

قالوا: وبما أمرك؟

قال: أمرني أن أُجير بين الناس ففعلت.

قالوا: فهل أجاز محمدٌ ذلك؟

قال: لا.

قالوا: ما زاد الرجل على أن لعب بك، فما يغني عنا ما قلت[١].

أرأيت إلى علي الشاب النابغة الذي يزن الرجال بميزان، ويعرف كيف يضرب ضربته الذكية؟ فهو كمن يطعن خصمه في المعركة فيرديه بكلامه وموقفه ودرايته، ويجعل الخصم المجرب قائد القوم وكبيرهم ولداً وطفلا لا يدري ماذا يفعل. أرأيت علياً كيف طعن خصمه السياسي دون أن يخرج السيف من غمده؟ أرأيت إلى العقل الموجه، كيف يفعل فعلته فيشوش على خصومه ما يجعلهم حيرى لا يدرون ما يفعلون؟

هكذا تعامل عليٌّ العبقري الشاب مع شيخ قريش وسيد كنانة، وأرجعه طفلاً. وهكذا فهم أبو سفيان، وفهم معه قومه أن علياً لعب بأبي سفيان، وضربه ضربةً موجعة بعد الضربتين اللتين تلقاهما من ابنته أمّ حبيبة ومن الرسول ﷺ هذا هو الدور الأول الذي لعبه عليٌّ لتسفيه أبي سفيان واذلاله وجعله كالطفل الصغير.

الدور الثاني:

بدأ رسول الله ﷺ يخطط لغزو مكة وفتحها، فأمر بشحذ السلاح وجمعه، وبعث إلى القبائل المحيطة بالمدينة أن يتأهبوا

---

(١) خاتم النبيين: ج٢، ص٦٢٠؛ الطبري: ج٢، ص١٦٣.

ويأتوا إلى المدينة، فكانت الوفود تأتي ولكنها لا تعرف وجهة المسير، ووضع الحرس والعيون على المدينة يراقبون كل خارج منها وداخل إليها، ويفتشون من يمرّ ليلا ونهاراً. وبينما هو يتهيأ للمسير نحو مكة تسرّب الخبر إلى أحد أصحابه وهو حاطب بن بلتعة الذي رأى أن رسول الله إذا ذهب بهذا الجيش الجرّار إلى مكة ربما تكون نهاية قريش وعزّ عليه ذلك، وكان له فيها أرحام وأقارب، وقد تكون العاقبة لقريش فيكون له عندها يد. هكذا أصحاب النفوس الضعيفة يفكرون في علاقات ذاتية حتى في أحرج الأوقات، ويتخذ لنفسه حصناً يأوي إليه عند تقلبات الأحوال، وهكذا يقوم حاطب بن بلتعة بعملية خيانية لا عهد للمسلمين بها، وهي ايصال أخبار عسكرية سرية إلى الأعداء.

وفكّر حاطب في ايصال الخبر كثيراً؛ لأنّه خاف من تفشي الأسرار، وافتضاح أمره، فعمد إلى امرأة قينة مغنية أغراها بالمال، وكان هواها في قريش، ولم تكن أسلمت بعدُ، واتفقا على كيفية وضع الكتاب في ضفائرها لقاء أجر باهظ ونسي حاطب أن الله مطلعٌ على كلّ شيء، وأن الوحي يوصل الأخبار السرية بأقل من لمح البصر. وكان الكتاب يحتوي على أسرار عسكريّة بالغة الخطورة عن أهمية الجيش، وعدد الفرسان والرجالة، وكثرة السلاح والخيل والبغال والجمال. وخوفاً من التفتيش العسكري وضعت الكتاب مطوياً في ضفائرها، بحيث لا يمكن لأحد حتى ـ لو فتشها ـ أن يهتدي إلى الكتاب، ثم

خرجت تسلك طريقاً بعيداً عن عيون الحراس، توهمهم بالحشمة والحياء، وتتستر بهذه المظاهر، لتخفي جاسوسيتها على الدين وعلى الرسول.

وما إن غادرت المدينة حتى نزل الوحي المبارك يخبر النبي صلى الله عليه وآله بالكتاب، وأين موضعه، وما فعل حاطب، فدهش النبيّ صلى الله عليه وآله لهذه المفاجأة، وهذه الخيانة من أحد أصحاب بدر، فدعا علياً على الفور، قائلا له: إن أحدَ أصحابي كتب إلى أهل مكّة يطلعهم على أخبارنا، وقد كنت سألتُ الله عزّ وجلّ أن يعمي أخبارنا عنهم، وقد حملت الكتاب امرأة سوداء فهيا أدركها وانتزع منها الكتاب. ثم استدعى الزبير وقال له: اذهب مع ابن عمتك وأعنه على تخفيف مأربه، وخرج علي ومعه الزبير فأدركاها في (الخُليقة)، وتقدم منها الزبير فسألها عن الكتاب فأنكرت عليه التعرض لها من جانب، والسؤال عما لا يعنيه من جانب آخر، كما أنكرت عليه هذه التهمة الشنيعة، مما جعل الزبير يتردّد أولاً، ثم يعود إلى عليّ يُقنعه بأنه ليس عندها شيء، بعدما بكت المرأة لهذا التعرض والإهانة، وبدأت دموع التماسيح على خديها، وأوشك قلب الزبير أن يرقّ لها فارتد نحو عليّ يقول: لَم أرَ معها كتاباً يا أبا الحسن، ولم يلتفت الزبير إلى لازم قوله هذا، الذي يعني تكذيب الوحي، وتكذيب الرسول صلى الله عليه وآله وما كاد عليّ يسمع هذا القول من الزبير حتى غضب وصاح: ويحك يا زبير! يخبرني رسولُ الله صلى الله عليه وآله بأنها

تحمل كتاباً، ويأمرني بأخذه منها، ونأتي لذلك ثم تقول أنت: إنه لا يوجد معها كتاب!

وتظهر قدرة علي عليه السلام وفراسته، وتصديقه المطلق الذي لا شك فيه، ويظهر ضعف الزبير وأنه غير صالح للقيام بهذا الدور إلا برفقة علي عليه السلام. ولم يلبث عليّ عليه السلام أن اخترط السيف، وتقدم من المرأة قائلا وعيناه تقدحان شرراً قائلا لها:

أَما والله، لتخرجن الكتاب، أو لنكشفنك، ثم لاضربن عنقك بسيفي هذا، وحاولت المرأة أن تراوغ كما راوغت مع الزبير، ولكنها رأت عناداً واصراراً، مما جعلها تتأكد بأن الرجل متأكد من وجود الكتاب الذي تحمله، وأنها إن لم ترضخ للطلب سوف تنال عقابها المناسب، وقد يكون هو الموت، وإزاء هذا التخوف على حياتها قالت له: أعرض بوجهك عني، وأشاح علي بوجهه عن المرأة الماكرة فاذا بها تحل ضفائرها، وتخرج منها الكتاب، ثم تدفعه إلى عليّ، فيأخذه عليٌّ عليه السلام دون أن يقول لها شيئاً، ثم يأتي الزبير معه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يسلمانه الكتاب[1].

أرأيت معي ـ أيها القارئ ـ موقف الزبير الذي يعني أنه لو اقتنع بكلام المرأة لكذب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن

---

(١) خاتم النبيين: ج٢، ص٦٢٧؛البحار: ج٢١، ص٩٤ وكل من ذكرها من المؤرخين.

الهوى، ولكان يعني أن تفشى الأسرار العسكرية إلى الأعداء فيعرفون خطط الهجوم فيفشل.

ولكن اليقين الثابت في صدر علي بصدق رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي جعله يقف موقفاً مميزاً وحاداً، وأنه غير مستعد لسماع كلامها، وقبول أي موقف آخر منها؛ لأنه على يقين بأن الكتاب معها. أخبره بذلك من لا ينطق إلا عن وحي يوحي به إله السماء والأرض، والمطلع على خفايا الأمور وظواهرها.

وعليّ هو الحريص كلّ الحرص أن يبقى للجيش الفاتح هيبته حينما يباغت الآخرين، ويغزوهم في عقر دارهم لتنهى معركة الفتح دون إراقة دماء. وهيهات هيهات أنى لنا بمثل عليّ وهو النسخة الفريدة والشخصية الوحيدة في عالم اليقين والصدق والاخلاص.

الدور الثالث:

بعدما عثر الإمام علي عليه السلام على الكتاب مع المرأة التي لا تعرف من مضمونه شيئاً، أعمى الأمر على قريش، فلم تعرف شيئاً عن استعداد الرسول صلى الله عليه وآله لفتح مكة، وكان النبي صلى الله عليه وآله قد دعا ربّه أن يعمي أخبار جيشه عن قريش حتى يباغتها كي لا تقع معركة طاحنة في مكة. فالنبي صلى الله عليه وآله يريد الحفاظ على شرف الحرم، وإن كان أهله يستحقون الذبح، لمعاداتهم الشديدة لرسول الهداية، ولكنه محمدٌ رسولُ الإنسانية، المحافظ على القيم. فقد هيأ النبيّ صلى الله عليه وآله كلّ مقدمات المعركة، وأمر الجيوش

بالزحف الهادئ، واستمر حتى وصل إلى مر الظهران ـ وقيل إنه بالجحفة ـ وهناك أمر الجيش بالنزول، وكان الوقت عشياً فطلب من الناس أن يوقدوا النار، كلّ واحد يشعل ناراً، وكان الغرض من هذا اظهار عظمة الجيش، وقوة العسكر بهذه النار التي ترى من بعيد، حتى تأخذهم الدهشة ولا يفكرون إلا بحماية أنفسهم إما بالإسلام أو بالهروب من المواجهة، ويكون بهذا قد حقّق الفتح الهادئ الذي يحافظ فيه على شرف الكعبة.

وهناك التحق به عمّه العباس، الذي كان بقاؤه بمكة بأمر النبيّ حيث كان يقدم المعلومات عن قريش، ومظاهرها العسكرية وقوتها الاقتصادية، وما كانت تكيد وتدبر لحرب الرسول ﷺ.

ولما رأى العباس عظمة هذا الجيش الفاتح وقوته تأكّد لديه أن الجيش إذا دخل بهذه القوة والعنجهية ستذهب قريش والى الأبد. فكان يحاول أن يساعد النبي ﷺ على الفتح الهادئ حتى لا تراق في هذا الفتح محجمة دم.

وبينما هو غارق في التفكير لاح بخاطره أن يجول على أطراف المعسكر، لعلّه يرى آتياً أو ذاهباً، يمكنه أن يوصل خبراً لقيادة قريش حتى تأتي وتستأمن لدمها وأموالها، فتحفظ قريش ويحفظ الحرم.

وبينا هو كذلك إذا بأبي سفيان ومعه نفر جاءوا يستمعون

الأخبار، وقد أذهلهم ما رأوا من نيران حتى أن بعضهم قال: هذه نار خزاعة، قال أبو سفيان: خزاعة أقل وأذل. وينادي العباس أبا حنظلة! فيجيبه أبو سفيان فداك أبي وأمي بعدما عرفه، وهو مندهش من هول ما رأى عدةً وعدداً، ثم خاطبه ما ترى في أمرنا؟ قال: الإسلام، التحق بي حتى لا يقتلك الناس، وأردفه خلفه مؤمناً له مانعاً قتله حتى وصل إلى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وعرض عليه الإسلام، ولكنه كان صلب الشكيمة، شديد السخيمة يعزّ عليه فقدان اللّات والعزى والهبل الأعلى، وقد حاول عمر بن الخطاب قتله عن طريق إثارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الله قد أمكن منه بلا عهد ولا عقد، ولكن العباس الحريص على الإسلام رأى الحكمة في بقائه، ليرى عزّة الإسلام، وشرف النبي المطرود، وذلة قريش وصغار أبي سفيان، وطلب من أبي سفيان أن يسلم فتمهل، ولكن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمّه العباس: أبقه عندك الليلةَ، وآتني به صباحاً.

وفي الصباح أسلم بعد محاورة قصيرة، وقال العباس للنبي: إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معرض توصياته لرؤساء الجند وقادة الكتائب: مَن ألقى سلاحه فهو آمن، ومَن دخل بيتَه وأغلق بابه فهو آمن، ومَن دخل الكعبة فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. وكان الغرض من ذلك أن يذهب أبو سفيان، ويخذل الناس عن الحرب ويجلس في بيته، لأنه رجل له قوة تحريضية هائلة على

اثارة البلابل، فاسكته النبيّ بهذه المكانة المتساوية مع رجل أغلق بابه، ولا شيء غير ذلك.

وفرح أبو سفيان بهذه الرتبة الجديدة والشرف، وذهب مسرعاً إلى مكة يطلب إلى الناس أن يدخلوا داره، وهو لا يعنيه من الشعارات إلا أمان داره، وهو قادر على تجيير الجو لصالحه، فصار يدعو إلى داره فقط ليوهم الناس أنه وحده قد حظي بهذا الشرف، وهذا ما جعل الآخرين إما يلتزمون بيوتهم، أو يهربون إلى الجبال المحيطة بمكة.

ويزحف الجيش الإسلامي المقدام، ويدخل مكّة من طرق أربعة يطوقها من كلّ مكان حتى لا يفكر أحد في إراقة دم في بيت الله الحرام، وفي البلد الحرام.

وذكروا أن النبيّ ﷺ كان داخلاً وقلبه خاشع لله على هذا التوفيق، ولسانه يردّد ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾[١].

ومضت فرق الجيش تدخل مكة دون أدنى مقاومة، وقد أخذت الحميةُ سعد بن عبادة الأنصاري وهو يمرّ أمام أبي سفيان بن حرب فقال له: اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبى أو تستحل الحرمة. وتردّد قولُه بين المسلمين فنقلوه إلى النبي ﷺ

(١) سورة النّصر: الآيتان ١-٣.

وقالوا: يا رسولَ الله! ما نأمن أن يكون لسعد في قريش صولة. وقيل: إن العباس سمع ذلك فقال للنبيّ صلى الله عليه وآله: يا رسول الله! أما تسمع ما يقول سعد؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: يا علي! أدرك سعداً، فخذ الراية منه، وكن أنت الذي تدخل بها مكة. فأدركه أمير المؤمنين عليه السلام فأخذها منه، ولم يمتنع عليه سعد بل دفعها إليه.

ولم ير رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً من المهاجرين والأنصار يصلح لأخذ الراية من سيد الأنصار سوى أمير المؤمنين علي عليه السلام.

قال الشيخ المفيد رضي الله عنه: واعلم أنه لو رام ذلك غيره، لامتنع عليه سعد، وكان في امتناعه فسادُ التدبير، واختلاف الكلمة بين الأنصار والمهاجرين، ولم يكن وجه الرأي تولي رسول الله أخذ الراية بنفسه، وولى ذلك من يقوم مقامه، ولا يتميز عنه، ولا يُعظم أحدٌ من المقرين بالملة عن الطاعة له، ولا يراه دونه في الرتبة، وفي هذا من المفضل الذي تخصص به أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يشاركه فيه أحد، ولا ساواه في نظير له مساو، وكان علم الله تعالى ورسوله في تمام المصلحة بانفاذ أمير المؤمنين عليه السلام دون غيره ما كشف به عن اصطفائه لجسيم الأمور كما كان علم الله تعالى فيمن اختاره للنبوة وكمال المصلحة ببعثه كاشفاً عن كونهم أفضل الخلق أجمعين[1].

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ص٧١.

وهذا الدور لا يحتاج إلى تعليق، لأن وضوح أخذ الراية من سعد لا يتم الّا برسول الله ﷺ حيث لا يتنازل سعد زعيم الأنصار إلّا للنبيّ ﷺ، ولما كان سعد يعرف أن علياً هو الرجل الثاني في الإسلام، وأنه سيصبح الرجل الأول سلّم الأمر إليه بلا تنازع.

الدور الرابع:

التفاف الجيش الإسلامي على أطراف مكة المكرمة، مكّن النبي ﷺ من السيطرة العامة على المدينة، حيث لم تحدث أية مشكلة تذكر، وطبقت أوامر النبيّ بعدم سفك الدماء في البلد الحرام.

وأسلم على أثر الفتح سادةُ مكة، منهم حكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، وجبير بن مطعم، وأقبل أبو سفيان يركض فاستقبلته قريش، وقالوا: ما وراءك وما هذا الغبار؟ قال: محمد في خلق عظيم، ثم صاح وهو مذعور: يا آل غالب! البيوت البيوت! مَن دخل داري فهو آمن، فعرفت هند زوجته فجعلت تطردهم، ثم قالت: اقتلوا الشيخ الخبيث لعنه الله من وافد قوم، وطليعة قوم. قال لها: ويلك إني رأيتُ ذات القرون، ورأيت فارس أبناء الكرام، ورأيت ملوك كندة وفتيان حمير يسلمن آخر النهار، ويلك اسكتي، فقد والله جاء الحقّ ودنت البلية.

وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى المسلمين أن لا يقتلوا

بمكة إلا من قاتلهم سوى نفر كانوا يؤذون النبيّ صلى الله عليه وآله منهم مقيس بن صبابة، وعبد الله بن أبي سرح، وعبد الله بن خطل، وقينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة. فأدرك ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث، وعمار بن ياسر، فسبق سعيد عماراً فقتله وقتل مقيس بن صبابة في السوق، وقتل علي عليه السلام إحدى القينتين وأفلتت الأخرى، وقتل أيضاً الحويرت بن نفيل بن كعب.

وبلغ علياً عليه السلام أن أُخته أُمَّ هاني بنت أبي طالب قد أوت ناساً من بني مخزوم، منهم الحارث بن هاشم، وقيس بن السائب، فقصد نحو دارها مقنعاً بالحديد فنادى: أخرجوا من آويتم، فجعلوا يذرقون كما تذرق الحبارى خوفاً منه، فخرجت إليه أمُّ هاني وهي لا تعرفه فقالت: يا عبد الله أنا أمُّ هاني بنت عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأخت عليّ بن أبي طالب، انصرف عن داري، فقال: أخرجوهم. فقالت: الله! لأشكونّك إلى رسول الله. فنزع المغفر عن رأسه فعرفته فجاءت تشتد حتى التزمته فقالت: فديتك، حلفت لاشكونك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لها: اذهبي فبرى قسمك فإنه بأعلى الوادي. قالت أمّ هاني: فجئت إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو في قبة يغتسل وفاطمة عليها السلام تستره، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله كلامي، قال: مرحباً بك يا أمّ هاني، قلت: بأبي وأمي ما لقيت من علي اليوم، فقال صلى الله عليه وآله وقد

فهم ما تريد: قد أجرتُ من أجرتِ، فقالت فاطمة عليها السلام تشكين علياً عليه السلام، لأنه أخاف أعداء الله، وأعداء رسوله، فقلت: احتمليني فديتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قد شكر الله سعيه وأجرتُ من أجارت أم هاني لمكانتها من علي بن أبي طالب(١).

هل قرأت معي كيف نفّذ الأوامر، وقتل الأعداء، ولاحقهم ولم يتراجع، ولم يراعِ بذلك بيوت أهله وأقاربه، ولا بيت أخته الوحيدة، التي لم يرها منذ زمن؟ ولكنه عليّ المعروف بفنائه بالحقّ، ومعاداته لأهل الباطل، وهو القائل: ما ترك لي الحقّ صاحباً. فبينا ترى بعض الصحابة يخاف على أهله لتصور شيطاني، أو يخاف على مستقبل وضعه لظنه أو احتماله غلبة قريش، فإذا به يفشى الأسرار العسكرية، أو يتراجع حين البأس ويفرّ من المعركة، أما علي هو هو في المسجد والمحراب وفي المعركة والمواقف مع الأهل والأخت والبنت والأولاد على حدّ سواء، لا يقدم على الحقّ أحداً.

الدور الخامس:

بعدما لوت مكة جيدها، وأذعنت لبيرق النبوة، وتحولت إلى سلطة الرسول صلى الله عليه وآله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً حيث خرجت الرجال من مخابئها وأسلمت، وخرجت النساء من

---

(١) البحار: ج٢١، ص١٣٢ طبعة بيروت.

خدورهن وأسلمن، وانضوى الناس في ظل الرسالة الإسلامية، وعادت مكة إلى دورتها الأولى يوم خلق الله السماوات والأرض، وعاد البلد الحرام حيث يحرم فيها سفك الدماء، وأصبحت واحة الأمان والراحة والاطمئنان، دخل النبي صلى الله عليه وآله فاتحاً لا كما يدخل الفاتحون عنوةً بل كما يدخل الرسل المتواضعون ذاكراً ربّه، ناظراً إلى قربوس فرسه، لم يدخل مستعلياً ولا مستكبراً وإنما دخل ذاكراً شاكراً مسبحاً مستغفراً.

وبما أن مكةَ المكرمة كانت مجمع عبادة العرب، ومركز التجمع الصنمي أيضاً، وكان الغرض الأساس من الحرب الفكرية والنفسية والمادية إزالة دولة الصنمية، وتأسيس دولة الإله الواحد الحقّ مكانها، كان لابد من تركيز الألوهية في أذهان الناس، وتحطيم المظاهر الصنمية وقلعها من الأذهان، وتحطيم كل المظاهر الصنمية الموجودة في الكعبة وفي جوارها. قال الإمام الرضا عليه السلام ـ كما في البحار ـ وكانت ثلاثمائة وستين صنماً حول الكعبة عندما فتح النبيّ صلى الله عليه وآله مكة فمر بها وجعل يطعنها بمخصرة في يده ويقول: جاء الحقُّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، فجعلت تكب لوجهها[1]. وفي رواية ابن شهر آشوب: إن الإمام علياً عليه السلام صعد على أكتاف النبي وكسر الأصنام الموجودة على ظهر الكعبة.

---

(١) البحار: ج٢١، ص١١٦.

واذكر بعض الأبيات التي أرويها من حافظتي، وكنت قد حفظتها قبل أكثر من ثلاثين عاماً، والمصدر الآن غير موجود في مكتبتي التي أحرقها الظالمون.

وهذه هي الأبيات:

قيلَ لي قلْ في علي مِدَحاً ذكرها يطفئ ناراً مؤصدهْ
قلت هل أمدح مَن في فضله حار ذو اللب إلى أن عبدهْ
والنبيّ المصطفى قال لنا ليلة المعراج لما صعَّدهْ
وضع الله على ظهري يداً فأحس القلب أن قد بَرَدَهْ

كان هدف الإسلام محو الصنمية من الوجود الخارجي، بل الوجود الذهني أيضاً، والعقيدة الصنمية حالة مستعصية، مركوزة في الذهن والوجدان، وبعضهم رضع عقيدة الصنم وعبادة الصنم مع الحليب فأنّى له أن يترك هذه العبادة ولو كانت خرافة فوقها خرافة؟ والذي عشق الخرافة ورضع الخرافة، لا يراها خرافةً وإنما يراها صحيحة، وهذا هو الجهل المركب. ومشكلة الرسالة كانت مع هذا الجهل المركب، مع التعقيد النفسي والذهني. فهل كان الرسول بإمكانه غرس العقيدة الإلهية دون إزالة العقيدة الصنمية من الأذهان؟ وهل يمكن محوها من الذهن قبل محوها من الواقع؟ ومَن الذي يساعده على هذه المهمة الصعبة إلّا رجل الصعاب، رجل المواقف، إلا عليّ الذي صعد على كتف النبيّ، وحمل فأس النبوة بيده القوية

وزنده المتين، حتى كسرها تكسيراً؟ وبذلك تمّ الانتصار الحقيقي للإسلام بازالة كل آثار الصنمية ومحوها من الوجود.

الدور السادس:

سدانة البيت العتيق في الجاهلية والإسلام مكانة مرموقة، وكان أولاد أبي طلحة قد ثبتوا هذا الشرف، ولا ينافسهم فيه غيرهم من قريش وظلوا على ذلك زماناً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال لعثمان بن أبي طلحة ـ يوماً من الأيام ـ: ربما يأتي زمان يكون هذا المفتاح في يدي أضعه حيث أشاء، فهزأ عثمان بهذا الكلام.

ومن الطبيعي بعد سقوط مكّة وفتحها بهذا الجيش الجرّار، أن يركز فيها المواقع الأساسية كالسدانة والسقاية والولاية وما إليها، وأحسّ عثمان بأن أيامهم انتهت فأغلق الباب، وصعد بالمفتاح على السطح، وكأنه أراد أن يختبئ وينجو بهذا العلو فوق سطح الكعبة قائلا: لو أعلم أنه رسولُ الله لم أمنعه ـ يعني بقي على عناده بعد أن دخل الناس في دين الله أفواجاً ـ وعندها أمر النبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أن يصعد السطح، ويأخذ المفتاح منه، ولما وصل عليّ عليه السلام إلى عثمان حاول التمنع، ولكن علياً أمسكه فحاول الانفلات، ولكن هيهات فقد أمسكه ذو قوة لو اجتمع جيش عرمرم على ازالته منه لما أمكنه ذلك، ثم لوى يده وأخذ المفتاح منه، وفتح باب الكعبة ودخل الرسول صلى الله عليه وآله إلى

الكعبة فصلى ركعتين، فلما خرج سأله عمّه العباس أن يعطيه المفتاح فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[1] فأمر النبي ﷺ علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان، فقال: يا علي! أكرهت وأذّيت ثم جئت برفق. قال لقد أنزل الله عزّ وجلّ بشأنك قرآناً، وقرأ الآية عليه، فأسلم عثمان فأقرّه النبي ﷺ في يده[2].

كل دعوة تحتاج ـ مهما كانت محقة ـ إلى قوة تساندها، قوة المال، وقوة الزند والسيف، وقد كان رسول الهداية محمد ﷺ يحتاج إلى الاثنين معاً كغيره من أصحاب الدعوات الصالحة، وقد وفق الله بمال خديجة فانفقته حتى لم يبق منه شيءٌ، وبقي زند علي عليه السلام الذي رافق الدعوة حتى ثبّت أركانه.

وفروسية علي وقوته وشجاعته كانت لا تخفى على أحد، وكانوا يهابونه صغيراً وكبيراً، وإذا تصدى علي عليه السلام لموقف كانوا يعرفونه لا يرجع حتى يفتح الله على يده.

من هنا لم يكن بإمكان عثمان بن طلحة ولا غيره أن يختبئ، أو يصعد على سطح الكعبة هروباً في وجود هذا الجيش، خصوصاً وجود الذراع التي تطوي الحديد. فهل

(١) سورة النّساء: الآية ٥٨.
(٢) البحار: ج٢١، ص١١٦.

بإمكانه مقاومة هذا الساعد الذي يحمل الفرس والفارس أو يضرب الفارس المقنع بالحديد فيقده نصفين؟

ظنَّ عثمان أنه بإمكانه أن يمتنع وهو بعد لم يعرف قدرة علي، وشدّة ساعده، كان يسمع في عليّ وقوته، والآن تحقق له عندما أمسك علي بيده ماذا حلّ به. كيف استسلم دون مقاومة كأنه كان أمام أمرين إما أن يقع بدون حركة، أو يقدم المفتاح بدون ضجيج، فكان التسليم للصاعقة الإلهية لسيف علي وساعده؛ ليدخل النبي الكعبة وليعلن موقفه واضحاً دون قتال في هذا البيت العتيق.

الدور السابع:

لا يكفي أن يفتح النبيّ صلى الله عليه وآله مكة المكرمة ويترك ما حولها من جيوب، يترك المحيط بعيداً عنها عقائدياً وأخلاقياً، بل لابد من الدعوة الشاملة والخير العميم حتى تعود مكة بجوارها وقراها، لتعود أمّ القرى بأولادها وأحفادها كما أراد لها ربّ العزة، تمشي في الطريق السوي ليدخل الناس في دين الله أفواجاً.

ومن هنا عندما هدأت العاصفة، واستتبَّ الأمن في البلد الحرام، وأمن من آمن، وقتل من قتل، وتحقق النصر الإلهي، ونصر الله عبده وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده. بث السرايا إلى القرى المجاورة تدعو الناس للإسلام، وكانت القرى ـ التي

سمعت بنصر الله، وخذلان قريش ـ على شيء من الاستعداد تنتظر هذه السرايا؛ لتعلن كلمة التوحيد وتنضوي تحت لواء الدين الجديد.

وكان ممن بعث خالد بن الوليد على رأس سرية إلى بني جذيمة، وكانت بنو جذيمة قد أصابت في زمن الجاهلية عوف بن عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة، وكان من أقارب خالد، فلما وصل خالد إلى القبيلة حملوا السلاح في وجهه، فطلب اليهم القاء السلاح فلم يقبلوا لخوف من أخذ الثأر منهم، قال رجل منهم يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة! إنه خالد والله، ما بعد القاء السلاح إلا الأسر، وما بعد الأسر إلا القتل، فأخذه رجال من قومه، وقالوا يا جحدم تريد أن تسفك دماءنا؛ إن القوم قد أسلموا، ووضعت الحرب وأمن الناس وما زالوا به حتى نزعوا منه سلاحه، ووضع القوم السلاح امتثالاً لطلب خالد، فلما وضعوا السلاح أمر بهم فكتفوا، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء، ثم قال: اللهم اني أبرأ إليك مما صنع خالد[١].

ثم دعا علياً عليه السلام فقال: يا علي أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك، فخرج

---

(١) الطبري: ج٢، ص١٦٤.

حتى جاءهم، ومعه مال قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله فودَى لهم الدماء، وما أصيب من الأموال حتى إنه لَيدِي مِيلغَةَ الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، بقيت معه بقية من المال. فقال لهم علي عليه السلام حين فرغ منهم: هل بقي لكم دمٌ أو مالٌ لم يود إليكم؟ قالوا: لا، قال: فإني أعطيكم هذا المال الباقي احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وآله مما لا يعلم ولا تعلمون، ففعل ووافقوا شاكرين، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر. فقال: أصبت وأحسنت، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليُرى بياض ما تحت منكبيه وهو يقول: اللهم اني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد، ثلاث مرات[1].

إنَّ تثبيت الدولة يكون بإرخاء رواسي العدل والمساواة بين الناس، والإسلام جاء ليمحو أوضاع الجاهلية وما عليها من شنآن ويمشي في الناس بالحق والعدل ولا تزر وازرة وزر أخرى. وما قام به خالد لا علاقة له بالإسلام، بل هو الراسب الجاهلي المتحكم في عقل هذا الرجل الذي أسلم متأخراً ولا تزال رواسب الجاهلية في كيانه، فهو لم يستطع أن يترفع عنها مع أن النبي قال في خطبته البليغة أمام أهالي مكة: كل دم في الجاهلية فهو تحت قدميَّ هاتين. وكأن خالد لم يسمع أو لم يعِ

---

(١) المصدر نفسه.

ما قاله المصلح الكبير، ولهذا تبرأ منه النبي ﷺ ومن أفعاله، وتأثر لهذه الحادثة النكراء، وبعث علياً الذي هو نفسه ليمثله في رأب الصدع واستنكار الجريمة ودفع الديات وتعويض الخسائر المادية، حتى ميلغة الكلب ـ أي الجرن الذي يشرب منه الكلب، وهو وعاء من حجر أو خشب لا قيمة له ـ حتى يثبت الحق ويرسي دعائم العدل، ومن أولى من علي الأعلم الأقضى بفك الخصومات، وحلّ المشاكل وإرضاء الناس، وإعادة الأمور إلى نصابها. علي الحكيم في القضاء، والحكيم في المواقف ومداراة عواطف الناس حتى رجع والقوم مطمئنون كأنه لم يصبهم شيء، فبورك علي وبورك هذا اللطف الرسالي الذي يحمله بين حناياه، عالماً وقاضياً ومدافعاً عن الإسلام الحقّ.

وقفة عتاب خفيفة مع محمد حسين هيكل:

بلغ كتاب هيكل مجده، حيث وزع على أكثر الدول العالمية المهتمة بالتراث، خصوصاً أن هيكل كتب كتابه وفق الأنظمة الحديثة للكتابة، حتى يجعله مرجعاً سهلاً للباحثين الغربيين والشرقيين على السواء، ولكل من أراد أن يدرس حياة محمد ﷺ. والحق أن الكتاب اختصر التاريخ وأجاد كاتبه في كثير من المناسبات، بل حلّق في بعض المواقف. والكتاب موفق كماً ونوعاً ومنهجاً وأسلوباً.

غير أننا ونحن نعتز بأحد أهم كتّاب العصر الحديث،

نأسف لكاتب من هذا النوع ـ وهو يسبر أغوار التاريخ ويشهد الحقائق بكل نصاعتها ـ أن يبقى في ذهنه شيء من رواسب الماضي العفن حيث الحزبية والطائفية المقيتة ونربأ به أن يكون في ذهنه شيء على عليّ إمام المتقين وقائد الغر المحجلين، خصوصاً أن له موقفاً مميزاً في كتابة الطبعة الأولى من كتابه المطبوع في مصر عندما يتحدث عن يوم الدار، ويثبت فيه الوصية لأمير المؤمنين عليه السلام ويثور عليه المتعصبون أتباع بني أمية، ويقولون له: هذا عين ما تقوله الشيعة، فيقول لهم: هذا عين ما يقوله التاريخ، ثم يمحو ويحذف هذا الكلام من الكتاب عندما يتفق معه على شراء ٥٠٠ خمسمائة نسخة في الطبعة الثانية، فيهدم بهذا هيكل كل ما بناه من تحقيق علمي نزيه وبحث موضوعي مجرد.

وهنا في هذا الموضوع عندما يتعرض لموضوع فتح مكة المكرمة يجرد علياً عن أي مكرمة بحذف مقصود واهمال مقصود، وإذا اضطرته حقائق التاريخ التي يكتبها الطبري وابن الأثير واليعقوبي وابن هشام وغيرهم ممن تعرضوا لأكثر تفاصيل الفتوحات المباركة، يختصرها اختصاراً يكاد معه يمحو ذكر الحادثة. فهو مثلاً في مسألة الراية لا يذكر العباس ولا يذكر علياً عليه السلام، وفي مسألة أم هاني لا يذكر علياً وفي مسألة هدر دم الأعداء الألداء في العداوة الذين أمر النبي صلى الله عليه وآله علياً بقتلهم لا يذكر علياً، وفي مسألة تكسير الأصنام يتجاهل علياً تماماً،

وهكذا يبدو هيكل وكأنه في حرب مع علي عليه السلام غير معلنة بل معلنة.

من هنا نوصي القرّاء الكرام أن يعودوا إلى قراءة علي وفق ما أرسله الآخرون على الأقل إرسال المسلمات رغم الظروف الصعبة التي مرّت على المؤرخين وملاحقتهم وتفتيش دفاترهم، وعرض مؤلفاتهم على أجهزة المخابرات، حتى لا يذكر فيها عليٌّ بخير. ورغم مراقبة الشاردة والواردة، ورغم المتعصبين الكثيرين ورغم هذا كله كانوا أكثر إنصافاً لعلي عليه السلام الذي وردت فيه الآيات والروايات الكثيرة. «عنوان صحيفة المرء حبّ علي بن أبي طالب»[١].

مجلة ميقات الحج
العدد الثاني ـ ١٤١٥هـ

---

(١) كنز العمال.

الهجرة اليهودية إلى فلسطين والهجرة المعاكسة

منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي والفكر الصهيوني يعمل دون كلل للإمساك بورقة فلسطين عبر وسائل متعددة.

ولم يكن وعد بلفور المشؤوم (١٩١٧م) مجرد رغبة شخصية وإنما كان يعبر عن رغبة دولية في زرع عناصر الفساد في منطقتين هامتين في العالم الإسلامي؛ الأولى: المسجد الحرام، والثانية: المسجد الأقصى، لما يمثلان من قدسية كبرى في نظر المسلمين.

ومما جاء في الرسالة التي أرسلها آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد روتشيلد رئيس اتحاد الصهاينة في بريطانيا:

«إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها

الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى».

والمعلوم أن الشعور الديني يقوى ويضعف بحسب التربية الدينية. فكلما سنحت الفرصة للعواطف أن تشبع من الأجواء الدينية كلما تأصل فيها الحسّ الديني. وكلما بعد الإنسان في تربيته عن أجواء الدين والعبادة والمساجد كلما ضعف الحس الديني عنده. وهي معلومة تربوية واضحة، فكثرة اللقاءات الدينية وتكرارها وعرض المشاهد يؤثر في نفس الإنسان ويركز فيها عقيدته وأهدافها.

ومن هنا أكد الإسلام على تكرار اللقاءات مع الله وحشد لهذا اللقاء أحسن الأساليب من النظافة والطهارة إلى اللباس الجميل النظيف والطيب إلى عمليات رياضية وتربوية واجتماعية. فأكد على تكرار الصلاة لما لهذا التكرار من فائدة عظيمة في تربية الانسان وجذبه نحو عالم الغيب وانتشاله من براثن المادة بكل لوازمها من أنانية وذاتية وخسّة ورذالة.

ودعا إلى التعبئة العامة يومياً وبشكل اختياري، وأسبوعياً بشكل إجباري من خلال صلاة الجمعة.

وتمكن المسجد أن يلعب دوراً هاماً في حياة الأمة وتعبئتها، وكان للتعبئة العامة أثر واضح في كل الفتوحات الإسلامية المباركة.

من هنا ولدى سقوط المسلمين حضارياً وأمام مواجهة الاستعمار وتنازلهم عن أهم مقولة إسلامية، أراد العدو أن يمعن في سقوطهم فراح يوسعهم تفرقة وتجزئة ويبعدهم عن أهم مقدساتهم من خلال السيطرة غير المرئية على هذه المقدسات.

فجاء بعملائه وصنائعه فوضعهم في أقدس الأماكن الإسلامية وأعرقها؛ المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

ولما لم تكن الأجواء تسمح بكشف جميع الأوراق طلب من آل سعود أن يزايدوا على جميع المسلمين ويتشددوا في أمور عقلها المسلمون وعملوا عليها منذ العهد الأول للسلف الصالح.

وفي الوقت الذي يتشددون فيه من جانب، يكفّرون فيه المسلمين من جانب آخر، ونسبوا لأنفسهم العصمة وأنهم هم الفرقة الناجية وما عداهم في الحطمة!! وأشاعو في داخلهم كل وسائل الفحش والرذيلة.

ولم يحن الوقت بعد لإظهار الأمور على حقيقتها ولعل أزمة الخليج إحدى حلقات هذا التكشف، كما لا يخفى حيث يرتع الوجود اليهودي والنصراني بشكل مخيف في أرض الحجاز الممنوع فيه اجتماع ديانتين حتى ورد في الأثر «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان».

وأما المسجد الأقصى فالعودة إليه حلم اليهود في العالم لإعادة هيكل سليمان! بيد أنه في نفس الوقت هو خطة

استعمارية جديدة لقضم الأجزاء المهمة والتاريخية والمقدسات لمنع المسلمين من الاستفادة منها في تربية الأمة الإسلامية.

كما أن زرع دولة يهودية في فلسطين ودولة مارونية في لبنان يجعل أوروبا على أبواب آسيا وداخل البلاد العربية وعلى مقربة من منابع النفط والثروات الإسلامية الكبرى.

وعلى هذا الأساس، أعرب المجتمع الدولي عن تأييده المطلق لبناء دولة يهودية في قلب العالم الإسلامي تكون عاصمتها القدس.

وعملوا على خطين: خط استراتيجي يهدف لإنشاء إسرائيل الكبرى، وخط تكتيكي بين الحدود اليهودية الصغيرة ويحافظ عليها ويدافع عنها وتبقى لمدة خمسين سنة وبعدها تبدأ دولة إسرائيل الكبرى.

وبما أن المجتمع الدولي محكوم لنظام مجلس الأمن المحكوم للدول العظمى وعلى رأسها أميركا لم نسمع مرة واحدة إدانة من مجلس الأمن لإسرائيل، وإذا حدث أي قرار ليس لمصلحة إسرائيل تستعمل أميركا حق النقض ويمنع القرار العالمي المهم. ويصبح قرار مجلس الأمن حبراً على ورق ليس له أي أثر إيجابي على الأرض.

هذه طريقة الدول الكبرى صاحبة القرار وديدنها مع المسلمين وإسرائيل، فكل اعتداءات اليهود مبررة ومحمية، وأي

رد اعتداء من قبل أفراد عاديين أو من قبل دولة عربية إسلامية تقوم حمية هذه الدول وتلوح بعصاها الغليظة ويكون لمجلس الأمن القوة والحيوية والفاعلية، ولكن كل هذه القابليات تتبخر عندما تصل إلى إسرائيل ومواقفها.

ولم يكف الدول الكبرى هذه المواقف المعادية للعرب والمسلمين وإمداد إسرائيل بالعتاد والسلاح مما جعلها قوية وأقوى تسليحياً وتقنياً من دول المنطقة مجتمعة حتى أمدتها بالعنصر البشري ليحمي أرضها ويساعد في نموها ويحافظ على أهدافها.

وأوعزت إلى حكام البلاد العربية أن يثيروا قلاقل بين اليهود والمسلمين ثم تطرد الحكومات اليهود من أرضها أو يهاجر اليهود بدون طرد وبسماح من الدول المبارِكة إلى إسرائيل عن طريق غير مباشر وتكون النتيجة تزويد المعتدي بالقوة البشرية.

فالهجرة إلى إسرائيل لم تتوقف منذ بداية تكوين الدولة اليهودية في سنة ١٩٤٨ وطرد الشعب الفلسطيني المسلم.

وبعد حرب ١٩٦٧ أوعز إلى الحكام العرب بطرد اليهود العرب من دولهم. فطردوهم حتى سافروا إلى اسرائيل وكوّنوا مجموعات كبرى حامية للوجود الصهيوني، وفي الوقت الذي كانوا فيه يطردون اليهود من بلادهم ويظهرون العدوان للصهاينة

أمام شعوبهم كانوا يؤمّنون العنصر اللازم لبقاء اسرائيل وازدياد قوتها.

وكان طرد اليهود من ألمانيا وإحراقهم مسرحية لإظهار الشفقة والرحمة وإدرار العطف عليهم كي يستطيعوا أن يؤمنوا دولتهم.. ولا أدري كيف يتم هذا العطف على اليهود، وشعب فلسطين لا يجد له مأوى في العالم! ولا أدري كيف يتسم الشعب الأوروبي بأنه شعب واعٍ ومتحضر وهو يمارس هذا اللون من الأساليب؟! ولا ندري لماذا سكوت الحكومات العربية وتجاهلها إلى هذا الحد؟!

لكن البعض يدري ويقول أنهم شركاء في المؤامرة وأنهم أعضاء في فرق الهاجانا وفرق الارهابي مناحيم بيغن لملاحقة وطرد الفلسطينيين أينما وجدوا حتى لا يفكر الشعب الفلسطيني ولو بعد ألف عام بالعودة إلى فلسطين.

وإن عامل البؤس والشقاء والطرد والملاحقة وحده كاف في طرد أفكار العودة إلى فلسطين من سلالة الشعب الفلسطيني.

إن الهجرة اليهودية الأخيرة من الاتحاد السوفياتي لم تكن وليدة سنوات قليلة مضت، وإنما وليدة تاريخ هذا الإرهاب، ووليدة تاريخ هذه المؤامرة، والفرق واضح.

إن الوضع الدولي بعد لم يكن مهيئاً لهضم هذه الفكرة، بل لم تكن إسرائيل نفسها قادرة على استيعاب مثل هذا العدد،

حيث استطاع الاتحاد السوفياتي أن يضلل الشعوب العربية مدة خمسين عاماً بحماية القضية الفلسطينية ويحمل المسؤولية للغرب، وإذا به يظهر أنه كان الشريك الأقوى في مذبحة الشعب الفلسطيني وتقوية العنصر اليهودي المتطرف في أرض الإسلام.

وليس هناك فرق من أن يتم بيع فلسطين على طريقة أنور السادات وكامب ديفيد أو على طريقة المؤتمر الدولي ومشاركة الجميع فالمحصلة واحدة وهو بيع فلسطين وبمباركة دولية، وتحت عنوان واسع وعريض وهو حرية الانسان التي نادى بها غورباتشوف.

مرت صفقة المليون يهودي إلى فلسطين لتصبح دولة اليهود دولة عظمى تمتلك الطاقة البشرية والتكنولوجية التي تخولها من تحقيق أطماعها الواسعة واحتلال معظم الاراضي الإسلامية بالقوة وتمكنها من البقاء طويلاً بتوطين اليهود المتمسكين بالديانة اليهودية والذين يجيئون بهم إلى أرض الميعاد.

ولما كان المسلمون قد تخلوا عن واجبهم المقدس تجاه دينهم ومقدساتهم وانصرفوا إلى حاجاتهم الخاصة وتنازلوا عن قضايا الأمة، تمكن العدو من الوصول إلى هذه القوة البشرية والتركيز في بناء بنيته الاقتصادية والصناعية.

والأمة الإسلامية اليوم مدعوّة لتعديل موقفها واستراتيجيتها واتخاذ مواقف تتناسب مع حجم الكارثة والخسائر. فبينما تراهم

يتجمعون عندما تقرع طبول الحرب الأجنبية والأمريكية في الخليج لا نرى لديهم حساً عندما يجتاح اليهود فلسطين والضفة وغزة ولبنان! ولا نراهم يحسون عندما تجتاح روسيا أفغانستان! ولا نرى هذا الحسّ القوي والمتحرك في الاعتداءات المتكررة على أهلنا في الهند وكشمير والفليبين والبلغار وبلاد أوروبا الشرقية!

ولماذا تتحرك المواقع العربية بقوة لدى احتلال العراق للكويت! ولم تكن لتتحرك عندما احتل العراق قسماً كبيراً من أراضي الجمهورية الإسلامية؟! فأين كانت غيرتهم وأين أصبحت حميتهم وشيمتهم؟! هل يجوز الاعتداء على الجار؟! أوليس الجار مصوناً في العروبة والإسلام؟! فما هذا السكوت وما هذا السقوط؟! ولكن وراء الاكمة ما وراءها، وذلك أمر دبر بليل. ولهذا سكتوا عنه ودعموا المعتدي حتى انطبق عليهم قول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾[1].

والأمة الإسلامية مدعوّة قرآنياً بتدمير دولة اليهود إذ يقول سبحانه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنتُمْ

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٦.

أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[1].

وهذا الوعد حتمي بإذن الله، وعلى الأمة التمهيد لتقريب الشروط الموضوعية لهذا الوعد. ويساعدها الشجر والحجر، وينادي بعد ذلك الحجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي مختبىء خلفي تعال واقتله.

والشروط الموضوعية تكمن بنظرنا فيما يلي:

أولاً تعبئة الأمة تعبئة كاملة ثقافياً وفكرياً لخطورة الصراع الحضاري الموجه ضدها والذي تقوده الصهيونية العالمية أمام الشعاع ووراءه، وخلف الستار وأمامه.

وذلك من خلال المسجد، المدرسة، الكتاب، الجريدة، المجلة، الإعلام المرئي والمسموع وإيجاد خطة متكاملة لتعرف الأمة عدوها الحقيقي وتقدر خطورة صراعه الحضاري على وجودها ومستقبلها.

بعد نهاية نضج المرحلة الأولى، تبدأ الأمة بسلسلة أعمال لزعزعة الكيان الصهيوني وإرعابه فتشكل الخلايا السرية لملاحقة العناصر الصهيونية في العالم وملاحقة كل من يدعم الصهاينة. وتُقاطع كل شركات النفط التي تبيع لإسرائيل، وتُقاطع كل

---

(١) سورة الإسراء: الآيات ٤-٧.

خطوط الطيران التي تتعامل معها، ويقوم مكتب المقاطعة بتعداد كل الشركات العالمية التي تتعامل مع اليهود، ويمنع اليهودي من الاستفادة من شركاتنا الإسلامية وعلاقتنا العامة وعلى أي مستوى؛ بيع وشراء، إجار واستئجار، تعلم وتعليم، وعلى مستوى كامل الحياة العامة.

وكلّما شحت موارد إسرائيل وخفّ العيش فيها وأصبحت الحياة خشنة ومرة في داخل فلسطين، فإن كل هذا يؤدي إلى هجرة معاكسة. فاليهود السوفيات الذين جاؤوا إلى أرض فلسطين على تصوّر أنها الجنّة سيخرجون منها ويتوجّهون إلى الغرب أو غيره من البلاد ليعيشوا.

وأما إذا شكلت الأمة الخلايا السرية للمقاومة الإسلامية وتمكنت هذه الخلايا من التوغل داخل فلسطين وضرب الكيان الصهيوني في أعماقه فسوف تقضي على كل الآمال الصهيونية وسيبدأ العدّ العكسي لهجرة اليهود من داخل فلسطين إلى خارجها.

فاليهود أينما كانوا شرقيين أم غربيين كما وصفهم القرآن هم أحرص االناس على الحياة، ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾[1] والتنكير في كلمة (حياة) يفيد أنهم يطلبونها ولو من أي طريق ماجن أو خبيث أو ذليل مهين.

فإذا رأوا أن كل هذه الوسائل لم تفلح في بقائهم فسوف

---

(١) سورة البَقَرَة: الآية ٩٦.

يغادرون إلى أمكنة أخرى حباً بالعيش وهرباً من الرعب والخوف. وعند ذلك يأتي دور الأمة لخوض المعركة الفصل واستئصال الغدة السرطانية.

فهلّا بدأت الأمة تعي خطورة المرحلة وتتأهب لخوض معركة الصراع أم لا تزال تتلهى بوعود مؤسسات أميركا ودول الاستكبار من مجلس أمن إلى جمعية عمومية وجامعة عربية وغيرها وغيرها؟!

وهل لا يزال أسياد القضية الواحدة يتقاتلون على صدارة الموقف بدل الانصهار فيه، واستلام السلطة والحكم بدل إفشاء روح المحبة والإخاء والتسامح؟!

وعلى كل، من هنا، من أرض الإسلام، من موقع القرار الشرعي، ومن موقع القرار التاريخي الصعب، يجب ألا يخرج المجتمعون إلا بعد أخذ القرار التاريخي على مستوى آمال الأمة لتعطيل الهجرة إلى فلسطين والبدأ بتنظيم وترتيب كل ما من شأنه زعزعة الكيان الصهيوني الغاصب.

مؤامرة الهجرة:

قال بن غوريون عند بداية العمل وفشل الكنيس اليهودي والأحبار في جذب اليهود إلى فلسطين: «إنني لا أخجل من الاعتراف بأنني لو كان لدي القدرة ـ وأنني آمل في ذلك ـ أن أرسل مجموعة من الشبان العاملين في القضية لإرسالهم إلى

الدول التي يعيش فيها اليهود بأنانية فردية. على أن يظهر هؤلاء الشبان كأنهم ليسوا يهوداً ويحرّضوا اليهود القاطنين هناك بشعارات ضد السامية مثل: يهودي قاتل، يهودي ارجع إلى فلسطين. إنني أتعهد بأن نتيجة هذا العمل من ناحية الهجرة اليهودية ستكون مثمرة آلاف المرات أكثر من مواعظ الآلاف من المنتشرين من رجال الدين اليهود الذين لم تتجاوز خطبهم آذان اليهود الصمّ».

وقال ماكس تورد أحد زعماء الصهيونية: «لقد وصل الأمر والضرورة الآنية إلى درجة أنه إذا لم تكن الصهيونية موجودة فإن بريطانيا العظمى كان عليها أن تخترع الصهيونية».

كما عرف هرتزل هذه الحقيقة جيداً إذ قال عام ١٩٠٠: «إن عودتنا إلى فلسطين هي من أكبر القضايا التي تهم القوى العظمى إذ إنهم يبحثون عن شيء في آسيا».

بدأت فكرة الاستيطان اليهودي في فلسطين منذ المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل في سويسرا عام ١٨٩٧ حيث حدد هذا المؤتمر الأهداف الاستيطانية على النحو التالي:

١ ـ العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمّال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة.

٢ ـ تنظيم اليهودية العالمية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد.

٣ ـ تقوية الشعور الديني والوعي القومي اليهودي وتغذيته.

٤ ـ اتخاذ الخطوات العملية التمهيدية للحصول على الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق غايات الصهيونية.

٥ ـ جعل اللغة العبرية لغة رسمية للتخاطب بين اليهود في جميع ربوع العالم.

وعند إلقاء نظرة على قرارات المؤتمر الصهيوني تتضح لنا الحقائق الهامة التالية:

أولاً: إن الحركة الصهيونية منذ البداية كانت تقودها عقلية مخططة وعملية تتعامل مع الوقائع بفهم ودراية للأوضاع التي تحيط باليهود في بلدان العالم.

ثانياً: ليست هناك أيّة إشارة إلى الدين اليهودي في هذه القرارات مما يدل بوضوح على أن الجماعة اليهودية قد بدأت تتحول من طائفة دينية إلى حركة سياسية.

ثالثاً: تحديد الوطن القومي على أنه فلسطين وطريقة الاستيطان عن طريق العمّال الزراعيين والصناعيين اليهود في أول قرار للمؤتمر بهذا الخصوص يدل على حقيقتين:

الأولى: أن الحركة الصهيونية قد حددت فلسطين وطناً قومياً أساسياً رغم أنها طرحت بدائل أخرى.

والثانية: إعطاء الهجرة اليهودية اهتماماً خاصاً بتحقيق الاستعمار عن طريق العمال الزراعيين والصناعيين. (ونلاحظ هنا

كلمة العمال الزراعيين والصناعيين فهم الأكثر استقراراً وتمسّكاً بالأرض).

رابعاً: إن عملية التنظيم لليهود في العالم كانت مهمة أساسية، فبدونها لا يمكن لهذه الحركة العمل والاستمرار، وذلك التنظيم يراعي ظروف الدول التي يتواجد فيها اليهود وقوانينها، من هنا كانت الحركة الصهيونية تعي أهمية التنظيم السياسي في حياة اليهود وتقوية شعورهم القومي الديني. ولذا تحارب الصهيونية التنظيمات بكل أشكالها وبالأخص التنظيمات الإسلامية.

خامساً: لم تهمل القرارات قضية اللغة والثقافة فقد اعتبرت العبرية لغة رسمية لليهود وبدأ على الفور وضع قواعد لغة عبرية جديدة وعملت الحركة الصهيونية على مدى نصف قرن كامل لإقامة الكيان الصهيوني والدولة الصهيونية في فلسطين انطلاقاً من تلك المبادىء والأسس التي حددها مؤتمر بازل، الانطلاقة الأولى لهذه الحركة.

واستمر العمل اليهودي الدؤوب والمواكب لسير الأحداث في عمقها داخل نفوذ الدول العظمى للتأثير على قراراتها في إيجاد وطن قومي لليهود ولأن اليهود يملكون نفوذاً قوياً في الدوائر الرسمية للمملكة البريطانية بدأت ملامح الوطن اليهودي تظهر إلى العيان أكثر فأكثر.

ففي سنة ١٩٠٥ شكل مجلس الوزراء البريطاني لجنة

لترسيخ الاستعمار في آسيا وأفريقيا. ووضعت اللجنة تقريرها وقدمته للحكومة البريطانية التي أخذت به. وينص في إحدى فقراته على ما يلي:

«ضرورة العمل على فصل الجزء الإفريقي في هذه المنطقة عن الجزء الآسيوي وتقترح اللجنة لذلك إقامة حاجز بشري قوي وغريب يحتل الجسر البري الذي يربط آسيا بأفريقيا بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة».

عند قراءة هذا النص تتضح لنا الحقائق التالية:

أولاً: إن الوجود الصهيوني في تلك اللجنة التي وضعت هذا التقرير وفي السلطة البريطانية واضح ومؤثر، ذلك أن هذا النص أخذ طريقه إلى التنفيذ العملي دون معارضة من مجلس الوزراء البريطاني أو البرلمان ومجلس العموم.

ثانياً: إن التحالف بين الامبريالية البريطانية والحركة الصهيونية كان قائماً منذ ميلاد الحركة ولولا ذلك التحالف لما تمكنت الحركة من تحقيق أهدافها.

ثالثاً: إن الدور البريطاني في اغتصاب فلسطين دور أساسي وهام ليس فقط في دعم الحركة الصهيونية بل في تبني قضيتها والعمل معها ومن أجلها.

رابعاً: إن التخلف في الوطن العربي وسقوطه تحت

الهيمنة الاستعمارية أتاح الفرصة للحركة الصهيونية المدعومة من قبل الاستعمار من تحقيق أهدافها خطوة بعد أخرى. ولهذا كله يتضح أن بريطانيا قد لعبت دوراً أساسياً في خلق الكيان الصهيوني في فلسطين. لقد وضعت يدها في يد الحركة الصهيونية ولم تتركها حتى بعد إقامة دولتها على أرض فلسطين وكانت الهجرة الاستيطانية تجري على قدم وساق إلى فلسطين وهي تحت الانتداب البريطاني في فترة ما بين الحربين العالميتين. ولم تكتف بريطانيا بذلك الدور بل كانت أيضاً تعمل على تشجيع الحركة الصهيونية على إقامة الدولة ودعمها بكل الإمكانات المادية والمعنوية لتحقيق ذلك الهدف.

واستمرّ التفاعل القوي بين اليهود وبريطانيا على أكمل وجه حتى تُوّج بوعد بلفور ليعبّر عن الدعم المستمر للحركة الصهيونية العالمية.

وكان هرتزل يعبّر عن مطامع الدول الكبرى عندما صرح سنة ١٩٠٠ أن عودتنا إلى فلسطين هي من أكبر القضايا التي تهم الدول العظمى إذ أنهم يبحثون عن شيء في آسيا.

ولشدة حاجة دول الاستعمار الكبرى إلى الصهاينة عبّر ماكس تورد أحد زعماء الصهاينة: « لقد وصل الأمر والضرورة الآنية أنه إذا لم تكن الصهيونية موجودة فإن بريطانيا العظمى كان عليها أن تخترع الصهيونية».

إذاً، لم يكن وعد بلفور صادراً عن رغبة شخصية وإنما كان يعبر عن استراتيجية دولية مشتركة بزرع هذا الجسم الغريب داخل المجتمع الإسلامي خصوصاً في فلسطين الأقرب إلى أفريقيا والتي هي مفتاح من مفاتيح آسيا.

فقد صرح بلفور في رسالته التي أرسلها إلى اللورد روتشيلد رئيس اتحاد الصهاينة في بريطانيا:

«إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى. وسأكون ممتناً إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علماً بهذا التصريح».

وقد وافقت الولايات المتحدة على هذا التصريح وصادقت عليه الحكومة الفرنسية والإيطالية. ولم يقف دور بريطانيا عند هذا الحد، بل كانت تساعد عمليات الهجرة إلى فلسطين وتدعم الهجرة الاستيطانية إلى فلسطين. وإلا فكيف ارتفع عدد اليهود المهاجرين إلى فلسطين من ٥٥ ألفاً بعد الحرب العالمية الاولى إلى ١٠٨ آلاف في العام ١٩٢٥ وإلى ٣٠٠ ألف في عام ١٩٣٥

وإلى ٦٥٠ ألف في عام ١٩٤٨، وفلسطين تحت الانتداب البريطاني.

وحتى قبل قيام الدولة اليهودية كانت بريطانيا تشجع اليهود على الهجرة إلى فلسطين، فلقد أكد تشرشل ما ذكرناه عن هرتزل سابقاً في مذكراته أثناء الحرب العالمية الثانية: «إذا أتيح لنا في حياتنا ـ وهو ما سيقع حتماً ـ أن نشهد دولة يهودية لا في فلسطين وحدها بل على ضفتي الأردن معاً تقوم تحت حماية التاج البريطاني فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع أهداف واستمرارية الامبراطورية البريطانية».

لقد كان هدف الحركة الصهيونية ومحور نشاطها منذ نشأتها تهجير اليهود من بقاع العالم إلى فلسطين وتوفير كل السبل أمامهم للهجرة لأن قادة تلك الحركة يعلمون أن العامل السكاني هام في إقامة الكيان الاستيطاني وقد عملت الصهيونية على زيادة الهجرة باستمرار لتكون الغلبة في عدد السكان في فلسطين لصالح اليهود وهذا لا يتطلب تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين فحسب ولكنه أيضاً يتطلب طرد السكان العرب من أرضهم أو إرغامهم على الهجرة أو إبادتهم بحجة التعاون مع المقاومة الفلسطينية.

وتبذل الحركة الصهيونية والدولة اليهودية جهوداً مضاعفة لتنجح سياسة الاستيطان من جميع النواحي الاقتصادية والأمنية

والاجتماعية لأن في ذلك الاستقرار والنجاح تشجيعاً لمهاجرين جدد.

تقول الدكتورة عواطف عبد الرحمان في كتابها «الصحافة الصهيونية في مصر من ركائز السيطرة الصهيونية في فلسطين» ما يلي:

أولاً: السيطرة على الأراضي الزراعية هدف أساسي ومركزي.

ثانياً: دعم الاستعمار البريطاني للحركة الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين.

ثالثاً: إبقاء الدول العربية على تخلفها وتبعيتها للاستعمار الغربي.

رابعاً: تأسيس القوة العسكرية الصهيونية.

خامساً: إقامة صناعات يهودية في فلسطين لتوفر القاعدة الاقتصادية الصلبة للكيان الاستيطاني الذي يتم الإعداد لقيامه بعد توفر القاعدة السكانية.انتهى.

وقد بدأت الخطوات الأولى لتطبيق سياسة الاستيطان الزراعي مبكرة في فلسطين وأول مدرسة زراعية أنشأت قرب يافا سنة ١٨٧٨ ولكنها لم يقدر لها النجاح فأعيد تأسيسها سنة ١٨٨٣.

ولم تكن خطط اغتصاب فلسطين سرية بل كانت العرب

على علم بذلك. في عام ١٩٤٠ كتب جوزيف ماتس أحد المسؤولين عن الاستيطان اليهودي في فلسطين يقول: «بوضوح، فلسطين لا يمكن أن تسع لكلا الشعبين اليهودي والمسلم العربي وليس ثمة وسيلة سوى نقل العرب إلى البلاد المجاورة».

ووافقت بريطانيا على هذا المشروع الجهنمي. واستمر التدفق اليهودي بموافقة بريطانيا على ذلك حتى أدّى إلى تهجير العرب المسلمين من فلسطين وإحلال اليهود مكانهم.

وقد ذكر كتاب عالم المعرفة المنشور في الكويت ١٩٨٣م جدولاً مخيفاً بالأرقام عن عملية التهجير والهجرة في فلسطين من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٩٤٦ ومن سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٥٥ حيث أوضحت الرقم الكبير لعدد المستوطنات اليهودية وتضخم الأعداد اليهودية التي جاءت من بلاد العالم وخصوصاً بعد إقامة دويلة إسرائيل.

ومرحلة الهجرة الكبرى أصبحت بعد حرب حزيران ١٩٧٦ حيث استطاعت إسرائيل أن تتوسع كثيراً بما يستوعب خمسة ملايين يهودي في الأرض الجديدة على الأقل، واستولت على منابع نهر الليطاني والوزاني والجولان وغزة ونهر الأردن. . حيث لا حدّ ظاهر في أطماع إسرائيل وأغراضها العدوانية.

وأظهر الكاتب اليهودي اوددينون أهداف اليهود ولخصها بالآتي:

١ ـ تفتيت الدول العربية إلى عدة دويلات على الأساس الطائفي والعرقي ليسهل على إسرائيل السيطرة عليها.

٢ ـ أن تكون إسرائيل ثوة امبريالية في المنطقة تدور تلك الدويلات في فلكها.

٣ ـ الاستمرار في سياسة الاستيطان اليهودي في الأراضي العربية الإسلامية ليعاد توزيع السكان وتكون الأغلبية لليهود.

وتذهب الضفة الغربية والقطاع من ذاكرة العالم الإسلامي.

واستطاعت الثقافة اليهودية والإعلام اليهودي أن يستغل ما سُمّي بمذابح أو حرق اليهود في ألمانيا على يد هتلر وعملوا على كسب عطف الشعوب العالمية من خلال إثارة مظلوميتهم التاريخية الكبرى.

ولم يثبت عند الباحثين ما نسب إلى هتلر من حرق اليهود بأفران الغاز، ولسنا هنا لتبرئة ذمة النازي هتلر فقد كان هتلر رجلاً جباراً، لكن اليهود استغلّوا هتلر وضعف ألمانيا والاتفاق مع بريطانيا على النيل من هتلر ونازيته لتحسين سمعة بريطانيا ودول الحلفاء وضرب سمعة ألمانيا النازية وبالتالي إدرار عواطف العالم الغربي على الشعب اليهودي وليهيئوا الناس لاحتلال فلسطين وأنهم شعب مظلوم ولهم حق بالعيش وإحياء تراث آبائهم، وفلسطين لهم تاريخياً وما إلى ذلك مما عرضوه على العالم..

وقد ذكر كثير من الباحثين أن أفران الغاز ضجة مفتعلة ولا

أساس لها من الصحة. لكن اليهود استخدموا هذه الدعاية لهجرة اليهود إلى فلسطين أيما استخدام وكانوا أذكياء في إدارة الصراع، تساعدهم بذلك دول الامبريالية أميركا وبريطانيا.

عملية اليهود الفالاشا:

ورد في كتاب «عن طريق الخداع» فصول مؤامرة تهريب اليهود الفالاشا تحت عنوان عملية موسى. وأن اليهود استطاعوا نقل ١٨٠٠٠ (ثمانية عشر ألفاً) من الأثيوبيين.؛ اثنا عشر عن طريق المنتجع السياحي الذي صنعه الصهاينة في صحراء السودان على شاطىء البحر الأحمر والباقي تم نقله عن طريق الطائرة البلجيكية.

في بلاد الحبشة مجموعة من السود اليهود من قبيلة دان، وكانوا غير معترف بيهوديتهم لأنهم تركوا إسرائيل مع ملكة سبأ وتوصل كبير الحاخاميين اليهود إلى جعلهم يهوداً وتبنوا نقلهم إلى فلسطين.

وفي عام ١٩٧٧ وعد بيغن بعودتهم إلى أرض الميعاد لكن الزعيم الأثيوبي مانغستو هيلا ماريام منع أي أثيوبي من الخروج وذلك لأسباب الحرب الداخلية. وبعد ذلك تمت صفقة بين الزعيم الأثيوبي وبيغن، تقضي بأن يقدم اليهود السلاح مقابل السماح لليهود الأثيوبيين بالهجرة إلى فلسطين. وطلب مانغستو بقاء الصفقة في منتهى السرية وعندما أبلغ موشي ديان مراسل

إحدى الإذاعات السويسرية في زوريخ في ٦ شباط ١٩٧٨ بهذه الصفقة أمر هيلا ماريام بإلغاء الصفقة من جديد.

وفي العام ١٩٧٩ عندما وقّع بيغن وأنور السادات اتفاق كامب ديفيد، أقنع بيغن السادات أن يكلّم الرئيس جعفر النميري بشأن السماح لليهود الفالاشا بالطيران من معسكر اللاجئين في السودان إلى فلسطين وخلال السنوات القليلة لم يتمكن سوى أربعة آلاف من الهجرة. لكن بعد مقتل السادات توقفت العملية.

وفي الفترة ما بين تشرين الثاني ١٩٨٤ وكانون الثاني ١٩٨٥ وخلال الأسبوع الاول من السنة الجديدة أمر جورج بوش الذي كان نائباً للرئيس الاميركي ريغان طائرات هليكوبتر الأميركية بالطيران إلى الخرطوم بعد الحصول على موافقة النميري حيث حملت على متنها ٥٠٠ من الفالاشا وطارت بهم إلى فلسطين.

وخرجت العملية عن السرية حيث عرفت بها وسائل الإعلام العالمية والعربية.

وبعد انكشاف سرية العمل فكّر الموساد بإقامة منتجع على ساحل البحر الأحمر وفتح مطارات سرية ونقل اليهود بطريقة سرية جداً. وفعلاً قرروا إقامة منتجع سياحي ونادٍ للغطس واستأجروا مكاناً هناك ونشروا له العمل الإعلامي وقصده السياح، وعلى مقربة منه صنعوا مطاراً صغيراً يجمعون فيه اليهود ثم ينقلونهم ليلاً على متن طائرات مروحية وبأعداد كبيرة.

وتمت إقامة المنتجع على خير ما يرام وزوّد بكل الوسائل الضرورية والخبراء في الغطس والضيافة وقصده الزوّار من كل مكان وكان عمّال المنتجع يقومون بالخدمات على خير ما يرام، وكانت كل عمليات الإمداد للمطعم تُأمّن من إسرائيل.

وقد دفع الموساد عمليات رشوة كبيرة لعدد من زعماء السودان منهم جعفر النميري ونائبه الفريق عمر محمد الطيب.. وعندما انكشف الأمر وكان عمر مسؤولاً عن الأمن في السودان صدر ضده في نيسان ١٩٨٦ حكماً بالإعدام مع فرض غرامة مقدارها ٢٤ مليون جنيه سوداني واستمرت عمليات نقل الفالاشا عن طريق السفن البحرية وعن طريق أسطول الطائرات المعد لهذه الغاية. وبعد انتهاء المهمة أعطيت الأوامر بطي الملف والعودة إلى فلسطين.

وبات الناس والمنتجع على ما يرام، وأصبحوا ولم يروا أحد من مديري وعمال المنتجع سوى بعض أشخاص بقوا ليؤمنوا الناس ويعلنوا بطريقة مسرحية أن أصحاب المنتجع أفلسوا وغادروا البلد.

عملية مثل هذه إذا حللتها تجد أن الزعماء العرب الكبار شاركوا فيها كما شارك من قبل بعض زعماء اليهود من عملية تهريب اليهود من اليمن إلى فلسطين.

وهكذا فإن ملوك ورؤساء الدول العربية لم يتورعوا بأي

عمل يؤدي إلى ضرب الثورة الفلسطينية والمتاجرة بها ومساعدة إسرائيل على إنجاز مهماتها ضد العرب والمسلمين.

ولا شك أن تهريب اليهود من البلاد العربية خصوصاً المغرب العربي تم بعمليات قريبة من هذا النوع. دولة المغرب التي يرأسها الحسن الثاني والذي لم يستح من استضافة المؤتمر اليهودي وهو رئيس لجنة القدس.

كما لا ننسى أن للإعلام دوراً بارزاً في استقطاب الجهات أو نفورها من أي عمل.

وقد وجد اليهود أنهم بحاجة إلى آلة بشرية تحمي ما اغتصبوه من أرض فلسطين، فقاموا بتوجيه شباب يسبون اليهود أو ينفرونهم من الخارج ليرجعوا إلى فلسطين.

تأمل هذا النص؛ قال بن غوريون: «إنني لا أخجل من الاعتراف بأنني لو كان لدي القدرة وأنني آمل في ذلك أن أرسل مجموعة من الشبان العاملين في القضية لإرسالهم إلى البلاد التي يعيش فيها اليهود بأنانية فردية. على أن يظهر هؤلاء الشبان كأنهم ليسوا يهوداً ويحرضوا اليهود القاطنين هناك بشعارات ضد السامية مثل يهودي قاتل، يهودي إرجع إلى فلسطين. إنني أتعهد بأن نتيجة هذا العمل من ناحية الهجرة اليهودية ستكون مثمرة آلاف المرات أكثر من مواعظ الآلاف من المنتشرين من رجال الدين اليهود الذين لم تتجاوز خطبهم آذان اليهود الصم».

واليهود قادرون على مثل هذه الأمور، وكلنا يدرك كيف استغل اليهود شعارات أحمد الشقيري الذي هيأ سفن لوضع اليهود في البحر. وكلنا يعلم شعارات اليهود بعد حرب حزيران ١٩٦٧ في كل من أوروبا وأميركا «ادفع دولاراً تقتل عربياً» ضد شعارات أحمد الشقيري الذي لم يساعده أحد في ذلك.

وبالطبع ظلت اليهودية على أهب الاستعداد لملاحقة قضايا الهجرة اليهودية، تستنفر كل علاقاتها ومعها الأمريكان والانكليز يهيئون لليهود كل ما يريدون لأن وجود اسرائيل بات ضرورة لحماية مصالح الغرب. فكان الاتحاد السوفياتي كلما احتاج إلى باخرة قمح تضغط عليه أمريكا أن تكون الصفقة تبادل قمح بيهود لإسرائيل، ولم تكن الظروف السوفياتية تسمح لأن السوفيات بنظرنا ليسوا أنظف من غيرهم في هذا المجال، بيد أن مصلحتهم خلاف ذلك الآن. فتظاهروا بقطع العلاقات سنة ١٩٦٧ واكتفوا بذلك.

حتى مهد لمجيء غرباتشوف ولا ندري كيف تمت تصفية من سبقه من الرؤساء حتى وصل إلى سدّة الرئاسة. وبعد مجيئه طرح إصلاحاته الجديدة تحت عنوان البرستوريكا (وهو مصطلح سياسي يعني إعادة بناء الهيكلة الاقتصادية) وسمح لكل المواطنين بالهجرة والتنقل من روسيا إلى العالم ولم يعد يحق لأحد أن يعترض آخر في سفره أو حضره وإقامته وظعنه.

وتحت هذا العنوان الاصلاحي مرت أكبر صفقة يهودية

بشرية عبر العصور، وامتدت الجسور الفولاذية بين الدولتين الالحادية واليهودية.

وخُطط لتمرير هذه الصفقة إحداث هزات كبرى بحيث تمر ولا يستطيع أحد مواجهتها فكرياً وسياسياً وإعلامياً وعسكرياً.

فيما دول العالم تجند كل طاقاتها لتحرير الكويت البلد العربي من العرب، لم يفكر العرب ومعهم المسلمون ـ اللهم سوى الجمهورية الإسلامية ـ بالوقوف أمام هذه الموجات الجديدة من الهجرة فضلاً عن الوقوف في وجه دولة العدوان، والعرب الآن ينتظرون إسرائيل لتصبح دولة كبرى في المنطقة، بعد ذلك يواجهونها لتأكلهم في ساعة واحدة.

هذا عرض موجز عن الهجرة اليهودية إلى فلسطين على قلة المصادر وكثرة المشاغل. فهل يحدث العرب والمسلمون هجرة معاكسة من فلسطين إلى خارجها؟

إننا نرى أن ما حدث عالمياً لم يكن دخل للعرب وإنما كل ما حصل للعرب من الغرب إما بعد الوقوع أو تزامناً معه. وكانوا هامشيين على مستوى أحداث العالم.

إن الأمة الإسلامية اليوم مدعوة لأخذ موقف استراتيجي على مستوى الآمال والتطلعات ولا يجوز لها الوقوف وكأن القضية لا تعنيها. وإن مواقفها السابقة كانت بعيدة كل البعد عن تفاعلها مع مبدأها وأهدافها.

إن المذابح المروعة والجماعية والتي تحدث تباعاً في فلسطين، في القدس، في الهند وفي كشمير وفي الفيليبين وفي الافغان وفي بقية البلاد الاخرى تتطلب من الامة الإسلامية موقفاً أكثر حزماً وأقوى قوة وأكبر قدرة وأوسع علماً ومعرفة. والأمة التي كانت شامخة تناطح السحاب ما بالها تنحني أمام الاقزام وفزع الخريف.

فيجب على قادة الأمة الإسلامية أن يقوموا بعملية تعبئة للأمة بحيث لا يبقى أحد من أبناء الأمة إلا وهو يعرف من هو خصمه، ومن هو قائده، وما هي أهدافه.

إننا نرى أن الهجرة اليهودية من فلسطين إلى الخارج يجب أن تبدأ وذلك من خلال:

١ ـ المقاطعة الإسلامية العالمية وتضييق الخناق على اليهود وعلى كل من يتعامل معهم، فمثلاً كل شركة تبيع نفطاً لإسرائيل يمنع عليها أية معاملة مع الدول العربية والإسلامية.وعندئذ ستضطر الشركة أن توازن في مصالحها؛ هل التعامل مع دولة صغيرة أربح لها أو مع خمسين دولة في العالم؟! وبالطبع ستلغي تعاملها مع إسرائيل وتبقي تعاملها مع المسلمين. وهذه مسألة مهمة وذات أثر وفائدة كبرى فيما لو طبق مكتب المقاطعة كل بنوده حيث لا يسلم من هذا المفهوم شركة ولا دولة

ويكون الحزم رائد التحرك الإسلامي العربي وأي دولة تخل بعهودها تعاقب وتعامل كإسرائيل.

٢ ـ دعم الانتفاضة الإسلامية في فلسطين مالياً، إعلامياً، ثقافياً، وسياسياً، وبيان مظلومية الشعب المسلم الفلسطيني المطرود من أرضه والذي لا مأوى له ولا أرض ولا دولة مما اضطره أن يعيش على مائدة بقية دول العالم. إن دعم الانتفاضة بشكل مناسب كفيل بزعزعة الوجود الصهيوني من أقصاه إلى أقصاه خصوصاً إذا تصاعدت أعمال الانتفاضة وهُرّب إليها السلاح الصغير والمتوسط وحينها يمكن ببعض الشباب إدخال الرعب على المستوطنين الجدد.

٣ ـ دعم المقاومة الإسلامية في لبنان والتي كانت سبباً من أسباب انفجار الانتفاضة المباركة وفتح الطريق أمامها في كل المحاور لتنطلق حرة كما كانت وتلاحق العدو وعملائه وهو في رؤوس الجبال الشاهقة. كما كان يحدث في سجد وصافي والأحمدية حيث هرب اليهود من كل الامكنة المحاذية للمقاومة وامتنع الشباب من الالتحاق بجيش لحد خوفاً من رصاص المقاومين الإسلاميين.

٤ ـ فتح أبواب العبور من كل البلاد العربية المجاورة والسماح للشعب العربي المسلم المجاور ليؤدي دوره في محاربة أعداء الله وأنا أعتقد أن هذه الحالة ستؤتي أكلها بأسرع وقت ممكن. ونحن نعلم أن اليهود غربيين أم شرقيين هم أحرص الناس على حياة وأكثرهم هروباً من

الموت وقد وصفهم القرآن فقال سبحانه: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾[١] وتنكير (حياة) يعني رضاهم بها بكل وسيلة، وبالطبع من يعشق الحياة إلى هذا الحد سوف يفر أمام أية مواجهة من المقاومة ويترك بيته أو بيوت الناس التي احتلوها. وأعتقد أن فتح الحدود أمام الحالة الشعبية ستنهك إسرائيل وتربكها أكثر من أي وقت مضى وستجعل الدول الكبرى في وضع مربك.

٥ - تقوم الدول الإسلامية والعربية بتغطية نفقات معركة فاصلة ويدرب فيها شباب الامة ويستطيع مليار مسلم تأهيل عشرة مليون مسلم بسهولة وتغطية نفقاتهم وحينئذ لا يبقى من عراب الحل إلا ساعة واحدة حينما يحين الموعد وكأني وساعة الانطلاق.

وينادي عندها الشجر والحجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي اختبأ خلفي تعال فاقتله.

ويتحقق وعد الله تبارك وتعالى في حق اليهود: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَاۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾[٢]. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾[٣].

كتبت في سنة ١٩٩٠م

---

(١) سورة البَقَرَة: الآية ٩٦.

(٢) سورة الإسرَاء: الآية ٨.

(٣) سورة الإسرَاء: ٧.

مقالات
في
الفكر والسياسة

التوصيات الجديدة.. أوطان مذهبية!

عندما سقطت فلسطين في أيدي الصهاينة في العام ١٩٤٨، كان العرب والمسلمون يتعللون بخداع الاستعمار الغربي لهم. قالوا حينذاك: «لم يكن هناك وعي كافٍ لإدراك خطر الاستعمار الذي قتل وسلب ومزّق الشعوب والعلاقات والروابط الاجتماعية والاقتصادية. لقد دفعنا الاستعمار إلى التخلف والفقر والسقوط وتشتت الافكار والتلف ونحن نتصارع من أجل قضايا هامشية وجزئية وتافهة. فتبخرت أحلام الوحدة وضاعت حظوظ التقدم وتقوّضت كل معالم الحضارة التي كان الأجداد يتفاخرون بها واتجهنا نحو الانكفاء حتى ذهبت فلسطين وقبلنا بالخرائط التي رُسمت لنا، وبالعداوات والخصومات التي قُيّدت لنا لأنهم يعرفون أن في عقولنا ونفوسنا تربة خصبة لنصرف بها جهودنا سدى».

أما اليوم وبعد أكثر من ستين عاماً على ما نعتبره الخداع والمؤامرة وبعد أن تعلمت أجيال بأكملها، في المدارس والمعاهد والجامعات والمساجد، ماذا فعل الاستعمار بنا. كيف

قسّم وكيف دمّر وكيف قتل وكيف زرع لنا أصل البلاء وسبّب المأساة للشعب الفلسطيني حينما أنشأ الكيان الصهيوني؟ وبعدما تبدّت كل حقائق التاريخ أمام أعيننا فإننا اليوم غير بعيدين عن الخطأ نفسه. لم نشأ على ما يبدو أن نعتبر أن الاستعمار الغربي هو سبب هذه المحن الكثيرة التي نتخبط بها، ففي هذه الأيام منحناه قدراً كبيراً من التسهيلات وعززنا مساعيه وجهوده لتفرقتنا أكثر فأكثر. ستون عاماً لم تكن كافية لنحمل وعياً بما فعل الاستعمار بنا وما خطط ويخطط له. ارتكسنا على أعقابنا، عدنا قبائل وعشائر وعرقيات وطوائف نتقاتل ونتحارب كما لو أن نبياً لم يُبعث من أجلنا، وكما لو أن رسالة لم تُرسل لنا، وكما لو أن جهوداً فكرية وثقافية وتوعوية لم تبذل لنعرف العدو من الصديق.

الشعور اليوم أبعد بكثير مما يمكن علاجه بكلمات. دخلت الأمة في الجهل الأسود عندما رضيت أن تنفّذ مخططات الاستعمار على حساب الوحدة والعمل المشترك والقيم التي جاءت بها الأديان إلى هذه الأرض. فهل كانت كل هذه السنين عجافاً، لم نستطع خلالها أن نتعلم بناء وحدتنا وحريتنا وديمقراطيتنا فأصدرنا قراراً بقتل أنفسنا وتقطيع أوصال أمتنا إلى أكثر مما كانت عليه. العصبيات هي الحاكم بين شعوبنا وكل الكلام عن حرمة قتل المسلم للمسلم أو لأي إنسان آخر بسبب انتمائه العقائدي لم تصادف آذاناً صاغية حتى الآن. إنّ ما يُفعل

من تمذهب عنصري عصبوي تكفيري هو نقيض الإسلام تماماً. وإن القتل على الهوية المذهبية والطائفية انكارٌ لأبسط قواعد الإسلام، وتصوير خاطىء لمبادئه وتعاليمه وخصوصاً المتصلة بالحرمات والمقدسات والأعراض والحريات العقدية. هنا تقع الكارثة عندما يصاغ الإسلام بدوافع غريزية وسياسية ومذهبية، ومن هنا يعمى الكل عن العدو الحقيقي فيأتي بما يخالف ضرورة العقل والضمير والانسانية.

كان الاستعمار عندما يريد أن يفجر العداوة بين أبناء الأمة، يلقي بأطنان من المنشورات من طائراته لتدبّ الخلافات بعد ساعات. اليوم أنشأ لنا فضائيات الفتنة، الكافية بإغراقنا في العصبية أمداً طويلاً، والكافية بأن تجعلنا غافلين وغلاة ومتطرفين ومسارعين لإنعاش الأحزاب والحركات والتيارات المذهبية، التي تؤكد كلها أن التخلف والمرض أيضاً في داخلنا وأن مأساتنا بأيدينا.

كانت الخطط الماضية والتوصيات السابقة تقضي بأن تقسّم البلاد العربية إلى مساحات جغرافية يقطنها خليط من المكونات الطائفية والعرقية. اليوم تقضي الخطط والتوصيات إلى تقسيمات وفق المكونات المذهبية. سيأتون لنا غداً بلجان استقصائية لمعرفة رغبات سكان هذه المنطقة وتلك على غرار اللجان التي أوفدوها في مطالع وأواسط القرن الماضي بحجة معرفة آمال وتطلعات الشعوب في هذه المنطقة.

لم يكن الاستعمار يحترم ذواتنا وحقوقنا ومشاعرنا، كان دائماً ضد إنسانيتنا وقيمنا وحريتنا فلماذا نُمحّضه اليوم أقدارنا ومصائرنا ونعطيه الحق ليظفر بنا فيركب موجة هذه الثورة وتلك، تارة بحجة تقديم مشورة وأخرى مساعدة وثالثة مساندة في مجلس الأمن. كان الوعد المشؤوم بداية القرن الماضي الذي جرّ البلاء إلى منطقتنا يقوم على إنشاء وطن قومي لليهود. أما اليوم فإن الوعود المشؤومة هي بإنشاء أوطان مذهبية تمثل عصر الثورات العربية. في العام ١٩٦٧ العام الذي عُرف بعام النكسة خرج العرب بـ (لاءات) ثلاث لا صلح، لا اعتراف، لا تفاوض مع العدو الاسرائيلي، ولكن (اللاءات) تحولت إلى (نعمات)؛ فجرى تفاوض واعتراف وصلح. كنا نشاهد بأمّ أعيننا الانحدار تلو الانحدار. واليوم نشاهد ما هو أسوء من ذلك بكثير حيث ينطبق على هذا الزمن ما ورد عن الرسول الاكرم محمد ﷺ: «سيأتي على أمتي زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه ولا من الإسلام إلا اسمه».

فإذا كان للصارخ من هذا الواقع الخطر جدوى فأنا أول الصارخين. وإذا كان للتحذير من النزاعات المذهبية جدوى فأنا أول المحذرين. فهل نقف عن الغلو في ديننا ولا نقول على الإسلام إلا الحق!

٢٠١٢/٢/٤

المقاومة.. ونهاية إسرائيل

على امتداد عقودٍ متواصلة كان الجنوب اللبناني حقلاً خصباً للخطط العسكريّة الإسرائيليّة، يُنفذ فيها الجيش الإسرائيلي كل ما سمحت له به العقيدة الأمنيّة القائمة على الإفراط في القوة وإنهاء العدو وإفنائه. والجنوب كان المكان الوحيد من بين بلدان الطوق الذي وفرّ لجنرالات العدو تجربة مشاريعهم وخططهم. كان ساحةً مفتوحة لممارسة الإرهاب والإجرام من دون حسيبٍ أو رقيب، وكان مجالاً حيوياً للتدخل الأجنبي والعبث بلبنان واستخدامه كورقة من أوراق التفاوض بين الدول الكبيرة.

حتى جاءت المقاومة الإسلامية في منتصف الثمانينات تُكمل ما بدأته مختلف القوى والفصائل اللبنانية والفلسطينية التي كان لها دور فعال في استنزاف العدو ومنعه من أخذ لبنان رهينة لحساباته. وحتى لا نغمط حق أحدٍ، فإن المقاومة كانت صنيعة كل حرٍّ ومؤمنٍ ووطنيٍّ صادق. صنيعة الشعب الذي كان يعتصم في المساجد والحسينيات والأماكن العامة رافضاً الاستسلام

والانهزام مردداً الشعار الحسيني المشهور: «هيهات منا الذلة». وكانت نتيجة المقاومات التي سبقته، وإرادة الناس الذين وقفوا وصمدوا ولم يخضعوا للظالم والمحتل أبداً.

وكانت الحقبة التي تلت الاجتياح الاسرائيلي عام ١٩٨٢ تحمل الكثير من التحدي والإرادة على الرغم من ضعف الإمكانيات وحجم الخسائر والمعاناة التي تكبدها الجنوبيون. ثم بدأ العمل المقاوم بالتطور التدريجي من حرب العصابات البسيطة إلى حرب العقول الذكيّة. لم يعد الجنوب مجالاً حيوياً وعمقاً استراتيجياً لأمن إسرائيل وجزءاً من مشروع إسرائيل الكبرى بل سجناً كبيراً مفتوحاً على النزف المتواصل الذي لا تستطيع القيادة الإسرائيلية تحمّل كلفته الباهظة.

دخلت المقاومة على خط التنظيم المحكم والتدريب العالي واستخدام كل وسائل القوة المتاحة تجسيداً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1] .ما جعلها ترسي أسساً جديدة للصراع أرخت بظلالها لا على الواقع العسكري الميداني بل على كل الخطط الإسرائيلية في السياسة، حيث كانت إسرائيل تأمل دائماً أن يتم تشكيل نظام سياسي متحالف معها وأن تعقد معاهدة سلام مع لبنان، وفي أسوء الاحوال أن تعقد معه اتفاقية أمنية تحفظ فيها أمن شمالي فلسطين من أي هجوم من الجانب

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

اللبناني. لكن تصاعد وتيرة العمليات والاختراقات الأمنية المهمة للجيش الإسرائيلي والضربات المؤلمة لما يُسمّى جيش لبنان الجنوبي جعل الأمور لا نظير لها في كل الحروب التي شنتها إسرائيل على الدول العربية، من حربٍ انعدمت فيها الموازين في القوة إلى حربٍ تنطوي على توازن قوة، ثبّتت المقاومة معادلات جديدة على الساحة الاقليمية، وأنقذت لبنان من أن يكون دائماً في فم التنين الإسرائيلي. وجاء الانسحاب المذل في العام ٢٠٠٠ ليشكل ذروة الهزيمة لجيشٍ فقد رجاله كل أمل بالسيطرة على لبنان والقضاء على المقاومة. مع هذا الانسحاب تتالت وتعاظمت المخاوف الإسرائيلية أيضاً فالمقاومة ليست من المقاومات التي يمكن أن تعقد صفقة أو تسوية أو تكتفي بما حصل. لطالما كان نظر المقاومة إلى حماية لبنان وإزالة إسرائيل ساكنة في أعماق عقيدتها.

وإسرائيل في مأزق. منطق القوة غير الملجومة لم يفلح، ومنطق الانسحاب لم يفلح أيضاً، والمقاومة ما زالت على سيرتها الأولى من العمل العسكري المتواصل والآن باتت تهدد أمن سكان الجليل بل العمق الإسرائيلي أيضاً.

حتى جاءت حرب تموز من العام ٢٠٠٦ بكل هولها، والمفاجأة أن المقاومة أظهرت تطوراً نوعياً في أدائها وقدرة استثنائية على مواجهة أعتى قوة في المنطقة. في هذا الوقت تآكلت هيبة الجيش الإسرائيلي إلى حدود قصوى، كما ولّدت

الحرب معطيات معاكسة تماماً لما كان في ذهن الإسرائيليين والأميركيين الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر ولادة مولدهم الجديد «الشرق الأوسط الكبير أو الموسع»، الذي لن يكون فيه للمقاومة وجود ولا لسوريا فيه دور ولا لإيران فيه نفوذ. لكن انقلب السحر على الساحر، وخرجت المقاومة أقوى مما كانت عليه، وأصلب مما كانت فيه، وأرقى مما وصلت إليه، وتحول المشهد من مقاومة مُهدّدَة باستمرار من إسرائيل إلى قوة مُهدِدَة باستمرار لإسرائيل.

نعم لقد شكل انتصار المقاومة في العام ٢٠٠٠ ثم في العام ٢٠٠٦ تغييراً حقيقياً لموازين الصراع، ولوجه المنطقة من جانبٍ آخر. وكل ما نشهده اليوم من تداعيات في العالم العربي سببه بدرجةٍ كبيرة هذه المعادلة الجديدة التي استقرت بفعل إنجازات المقاومة.

واليوم عندما تصبح قدرة المقاومة ضرب أي هدف في فلسطين المحتلة، وعندما تغدو قادرة على التهديد المباشر، فإنّ معنى ذلك أن المقاومة تحفر مجراها إلى داخل الكيان، ومعنى ذلك أيضاً أن سقوط «الجدار الطيب» في العام ٢٠٠٠ مقدمة لسقوط الجدر الاسمنتيّة التي تفصل الشعب الفلسطيني عن أرضه.

لقد تحوّل جنرالات العدوّ بفعل الهزائم التي كبّدتها

المقاومة بهم إلى جنرالاتٍ بلا أمل، وتحوّل مجاهدو حزب الله إلى رجال الله الواثقين بنصر الله وإزالة إسرائيل من الوجود.

من الإمام موسى الصدر إلى السيّد حسن نصر الله:

بقي الشعار الذي رفعه الإمام الخميني على ما هو عليه: «إن إسرائيل غدّة سرطانية ويجب إزالتها من الوجود».

وهذا اليوم هو على نحو اليقين والحتميّة. ألا كل ما هو آت قريب!

١٧ /٥/ ٢٠١٢

ممالك العرب بين غزّة وسوريا!

عجيب أمر العرب وممالكهم، تحولوا بقدرة قادر مع أول صاروخ أطلقه المقاومون على المستعمرات الصهيونية من ميادين الثورة إلى ميادين الحكمة والتعقل. حريصون هم على السلم والاستقرار والهدوء. لذلك سارعوا إلى الطلب من فصائل المقاومة أن توقف إطلاق الصواريخ وأن يتفهموا الوضع المعقد في المنطقة، وأن مصلحتهم تكمن في التهدئة لا في التصعيد، كأن الفلسطينيين في غزة هم من بادروا إلى قتل أطفالهم وتدمير منازلهم. طلبت الممالك من المقاومين أن يتوقفوا ولكنهم لم يجرؤا أن يطلبوا من العدو الإسرائيلي أن يكفّ عدوانه ويرفع الحصار. هم أجبن من أن يوصفوا، بل هم أجبن من على هذه الأرض! اجتمعوا في القاهرة من أجل إسرائيل لا من أجل الدماء البريئة التي تسيل في غزة، اجتمعوا بعد أن جاءت الأوامر الاميركية فهبّوا ملبين النداء. يعملون بجد لإقناع الفصائل أن تلتزم هدنة بشروط أميركية إسرائيلية. لم يفعل العرب شيئاً لغزة ما خلا بعض الزيارات والتمنيات والدموع التي تكشف عن عجز هذه الأنظمة وفشلها في صنع الكرامة لها ولغزّة.

في سوريا يُفتى بالثورة ووجوب مدّ المعارضين بالسلاح ولو أدى هذا الأمر إلى قتل الآلاف من المدنيين والأبرياء. لا مشكلة أن يسيل الدم المسلم والمسيحي في سوريا، حرمته لا توازي عند الله حرمة الكعبة! لا أصوات من بلاد الممالك بالتعقل والحكمة والتهدئة والحوار وحقن الدماء وإيجاد التسويات ووقف النزف المستمر الذي جعل الشعب السوري شعوباً والأرض السورية أراضٍ مقسمة مجزئة. لا أصوات من هناك للمساعي الحميدة والوساطات بل بتسليح السوريين ليقاتل بعضهم بعضاً لأن المشروع الأميركي ـ الصهيوني يريد سوريا محطمة ومشرذمة وضعيفة.

في غزة الصورة معاكسة تماماً. بلاد الممالك تحركت سريعاً لأن إسرائيل تألمت وإلا لكانت غارقة في صمت مطبق أمام المجازر والجرائم الإسرائيلية. كما كان الحال أمام كل المجازر السابقة. لم نكن نسمع من بلاد الممالك إلا الخطابات التي لا تغني ولا تسمن من جوع!

أما البلاد التي قيل بثورات حصلت فيها، فما بدا أنْ حصل فيها شيء. ظل الموقف السياسي والعملاني اتجاه الفلسطينيين على حاله كما كان سابقاً. مصر الثورة هي مصر ما قبلها اتجاه الفلسطينيين وغزة. اللهم إلا بعض الخطابات التعبوية التي تطرب الآذان ولكنها لا تستولد نصراً ولا تشفي جراحاً ولا تعيد كرامة.

كنا نتوقع من مصر أكثر من ذلك ولكن خاب ظننا من جديد مع تعاملها مع العدوان الإسرائيلي بهذه الطريقة الدبلوماسية السياسية وكأنها من بلدان الدول الاسكندنافية لا من البلدان العربية الملتزمة الدفاع عن شعب فلسطين والمهتمة بتزويده بكل السلاح المتاح ليدافع عن نفسه. لا ندري كيف يمكن للجمهورية الإسلامية الإيرانية ولسوريا وحزب الله مع بعد المسافة أن يمدوا الفلسطينيين بالصواريخ والمال فيما تعجز مصر الثورة عن ذلك.

لا ، ليس بالأمر المقبول هذا الذي يحصل، ولذلك نحن كنا على ريبة من المتغيرات التي حصلت في العالم العربي لأنها حتى الآن لم تعكس بشكل مباشر مصالح الأمة ووحدتها، ولم تضع الدول التي حدثت فيها هذه المتغيرات في أولوياتها القضية الفلسطينية التي يفترض أن تكون الأولوية الأساس على مستوى الأمة وشعوبها. لذلك لم نرَ أما العدوان الإسرائيلي الجديد على غزّة داعماً للقضية وللشعب الفلسطيني بكل وضوح وجرأة وفخر غير إيران وسوريا وحزب الله فيما بقيّة البلدان في العالم العربي والإسلامي والكثير من الحركات لم تقدم شيئاً يذكر بل حتى لم تتحرك في المجالات السياسية والإعلامية والجماهيرية كما يجب.

نحن بالقطع مع التغيير في العالم العربي لكن نريد تغييراً حقيقياً وثورياً وليس تغييراً شكلياً لا يبدل من الأوضاع القديمة

شيئاً على الإطلاق. نريد سلطات تحكم بالعدل والمساواة وتعيد الحرية والكرامة والحقوق إلى الشعوب التي كانت مستضعفة لفترات زمنية طويلة. أما أن تنتقل السلطة من شخص إلى آخر ومن فئة إلى أخرى مع بقاء السياسات الظالمة والتحالفات القديمة مع الاستعمار فهذا أمر غير مقبول.

إن أميركا عملت للسيطرة على الأنظمة الجديدة وهذا ما يبدو أنه قد تحقق من خلال المواقف الظاهرة والسياسات القائمة لما يسمى ببلدان الربيع العربي، ومن خلال علاقات مشبوهة مخالفة لمصالح الشعوب التي لم تنزف دماً ولم تنزل شارعاً إلا من أجل حريةٍ حقيقيةٍ ومن أجل وحدةٍ عربيةٍ وقوةٍ عربية لاستعادة فلسطين كلها. لذلك نحن نعتبر أنّ النظام الذي ترضى عنه أمريكا لن يكون نظاماً صالحاً للشعب والأمة. ولن يقدم للقضية الفلسطينية شيئاً سوى المزيد من المراوحة والإهمال والتسويف لأنه مضغوط ومكبل بمجموعة من الشروط الخارجية القاسية.

إنّ غزّة انتصرت والمقاومة انتصرت ونحن أمام حلقةٍ جديدة من العزّة ولو كان الوضع العربي الرسمي بهذه الردّة والتخلف والبلادة. مع خيار المقاومة ستكون الأمة أفضل وسيكون مستقبلها أكثر إشراقاً وأكثر حريةً وأكثر عدالة.

٢٠١٢/١١/٢١

الدستور السوري الجديد

يضع سوريا في سكة الصواب والإصلاح

دخلت سوريا مع الاستفتاء الجديد على الدستور مرحلة تاريخيّة هامّة على الرغم من حركة التحالفات الدولية التي تضغط لإفشال كل جهد إصلاحي داخلي. ولكن القيادة السوريّة كانت مُصمّمة بالكامل على المواجهة عبر الإصلاح، وراحت تُمهد الأرض لتحقيقها لأنّها تريد شعباً واعياً مثقفاً بصيراً يرتكز في عيشه ومسار حياته على مبادىء وقيم تُحصنه من الاستعمار الثقافي والإعلامي والعسكري، وتريد أيضاً صناعة دولة تملك كل أسباب القوة وقادرة على دعم وتعميق الوحدة الداخلية مهما تنوعت الآراء وتعددت الطوائف والأعراق.

لقد هدف الدستور الجديد إلى استعادة سوريا من بعض لصوص الداخل والخارج وبعض العرب الذين يتوسلون ذرائع سياسيّة ويخلطونها بدعاوى دينيّة مقدّسة لتدمير سوريا وإغراقها في الفوضى والدموية. وقد شاهدنا على مرّ سنةٍ كاملة سيلاً هائلاً من التلفيقات والأكاذيب التي لم تكن إلا في سياق تحقيق أحلام

السيطرة على بلدٍ حَفِظَ دروس المقاومة ومارسها بحسب ظروفه وإمكانياته بجدارةٍ وجرأة، فكان البلد العربي الوحيد الذي أعلن العداء الواضح لإسرائيل والمشاريع الغربية وتحمّل تبعات ذلك رافضاً التنازل والاستسلام على الرغم من الإغراءات والتهديدات الهائلة.

لا شك أن الذين يدفعون باتجاه إسقاط النظام هم الأشد تضرراً من حركة الإصلاحات، لأنّهم يعرفون أن ذلك يخالف رغبتهم في تنفيذ مخططاتهم. والدستور الجديد لا يُناسب البتّة مغامراتهم التي لا يبدو أن هناك روادع دينيّة وأخلاقيّة وسياسيّة يمكن أن تلجمها وتحدّ من مخاطرها على الشعب السوري الذي لا نفهم كيف يكون الحرص عليه هو باستجلاب حلف الأطلسي والجيوش الأجنبية! كما الجيوش العربية التي ارتفع منسوب الحماسة عندها للمشاركة في عمل عسكري! عجباً عجباً حقاً! بل لا بأس حتى بالتعاون مع إسرائيل أيضاً كما ذهب عدد من المعارضين المشغولين بنظرية الصدام المسلح مهما كلف الأمر من قتلى ودمار! فأين هي القضية في عمقها وأين الشعب السوري الذي يُعمل لتحريره عن طريق هؤلاء جميعاً الذين تنفث من وجوههم لهب العداء الأعمى لسوريا لأنها رفضت الاستسلام للخطة الأميركية في رسم المنطقة وجعلها منطقة محكومة بقبضة إسرائيل، ولأنها رفضت فك تحالفها مع الجمهورية الإسلامية الايرانية، ولأنها ساعدت المقاومة اللبنانية ووقفت إلى جانبها في

وجه العدو الاسرائيلي الذي أراد مراراً تغيير صورة وهوية لبنان المقاوم، ولأنها تؤيد بالمطلق حق الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه كاملة. فهل تستحق سوريا ـ أيها العرب ـ هذا الذي تفعلونه بها وهل هذا هو جزاء الإحسان على مواقفها القومية والإسلامية المشرفة في وجه أميركا وإسرائيل؟

نعم، الاستفتاء على الدستور هو لسلام الشعب السوري، ونزوعٌ نحو التجدد حتى ولو صدر في وقت متأخر، وحتى لو كان خطوة واحدة نحو الأمام. فهو يستحق منا التنويه لأنه وضع سوريا في سكّة الصواب وقدم الموقف الإيجابي الذي كنا ننتظره من القيادة السورية أن تقوم به لأنه يزيد الشعب السوري صلابة ومنعة وقوة ولأنه يمتزج عضوياً مع آمال هذا الشعب بتعزيز الحرية السياسية والتعددية الحزبية بعيداً عن كل أجواء العنف التي يتوسلها الأعداء لتخريب سوريا. التنمية الشاملة وحماية الشعب السوري والقضاء على استغلال المنتفعين والمتربصين والالتزام بالعقلانية والحوار وبناء المؤسسات وفتح الأجواء أمام الحريات وتشكيل الأحزاب تبدأ من الدستور الذي يشكل قاعدة أمان وركيزة استقرار تُخرِج سوريا وفي مدى زمني قريب من عبء الماضي إلى رحاب المستقبل. ونحن من القائلين إن الحرية السياسية والتعددية الحزبية لا تتناقض مع مقتضيات المواجهة مع إسرائيل ولا مع موقف العداء من المشاريع الاستعمارية الداخلة على المنطقة.

من هذا المنطلق نحن ندعو إلى قراءة الدستور بروحية إيجابية من كل القوى الفاعلة والمؤثرة على الساحة الداخلية والاقليمية، واستيعاب الأحداث التي تمر في هذه المنطقة وأخذ العبرة منها. فيكفي كوارث سياسية وفكرية ودينية وأمنية، ويكفي هذا النزوع نحو التغيير الأعمى الذي يدعو له البعض من دون النظر إلى العواقب الوخيمة التي بدأت تجعل الفتنة تمتد إلى كل بيت في سوريا، حتى نسي البعض من المسلمين أن الإسلام هو في الأساس دين الدعوة والحوار والإصلاح والحكمة. ونحن نريد من البعض أن لا يغرق في موقف لا حرمة فيه للدم، ولا حرمة فيه للعرض، ولا حرمة فيه لكرامة الإنسان وحريته خصوصاً بعد أن اندفعت بعض الدعوات الحادة، من شخصيات دينية وثقافية وسياسية لها وزنها المهم على الصعيد السوري والعربي والإسلامي، إلى الغرائزية المقيتة واستبعدت الحكمة في منطقها ومقاصدها وأهدافها.

لذلك إني أنصح المعارضين السوريين من كل قلبي والإسلاميين منهم على وجه الخصوص أن يعرفوا أولاً حركة الاستغلال التي تحيط بمعارضتهم وهذا الحشد الدولي والعربي الذي لم يجتمع على خير بلدكم أبداً بل للقضاء على سوريا ولاحقاً على فلسطين.

إني أدعو الجميع إلى ترك السلاح والانخراط في العملية السياسية الديمقراطية والاستفادة من هذا التقدم الاصلاحي

والبناء عليه لمزيد من الانجازات في طريق تعزيز الوحدة الداخلية. واتعظوا بحروب اللبنانيين وتقاتلهم الدموي الذي دام لسنوات طوال وكلفهم عشرات آلاف القتلى وفي النهاية عادوا إلى الصلح والحوار والمشاركة على طاولة واحدة. فلماذا الاصرار على الفعل الدموي وطريق الحوار والمشاركة معبدة أمامكم. سوريا التي وقفت في وجه الاستعمار وكانت قلباً لهذه الأمة هي اليوم تحتاج من الجميع معارضين وموالين أن يقيلوا عثراتها بالمساندة والنصح. فأرض المنطقة رخوة ولا نحتاج إلى من ينتشل الهزيمة الأميركية مجاناً، ولا نحتاج من يعطي إسرائيل أملاً في وقت لم يعد لها أمل بالبقاء عندما بدأ محور المقاومة من إيران إلى سوريا فلبنان وفلسطين يقول بأعلى صوته: «يجب أن تزول إسرائيل من الوجود»!

١ /٣/ ٢٠١٢

مؤتمر علماء الشام والتحديات الراهنة

يأتي مؤتمر علماء الشام الذي ينعقد اليوم في دمشق في لحظة مفصليّة وتاريخيّة ومصيريّة تمر بها الأمة والقضيّة الفلسطينيّة. وتتوجه العيون إلى علماء الدين لأنَّ الحرب الشعواء التي تخوضها قوى الهيمنة الغربيّة بتحالفاتها المعروفة مع بعض الأنظمة العربيّة، ميدانها ليس السلاح في ظل معادلة القوة التي فرضها محور المقاومة، بل ميدانها الوعي والعقل. أشرس المعارك هي التي تقع من هذه الناحية، وتعتمد على تغييب العقل أو تعطيله أو تطويعه، فتُبتَلى الأمّة لا بفلسطين واحدة بل بأكثر من ذلك وإن اختلفت فيها العناوين والمتطلبات والسياسات.

ما اكتفت هذه القوى الصانعة للكيان الصهيوني بتجزئة العالم العربي وتقسيمه وإحداث الشروخ في كل الدول التي اختبرت كل شيء إلا أن تتوحد لأجل فلسطين وشعبها.

خطورة ما كان في الماضي هو إلغاء وإذابة الهوية الفلسطينية بالكامل، وخطورة ما نحن فيه اليوم هو إلغاء وإذابة هوية الأمة بأجمعها بما ينسجم مع ثقافة الفتنة التي سرت منذ احتلال

الولايات المتحدة الأميركية للعراق بحيث لا يبقى للشعوب من قضية إلا التناحر والخلاف. ومن الواضح أن حقبة الفتنة ستمتد بآثارها الوخيمة على الجميع ويعني ذلك عملياً استمرار الانحسار وتجاهل القضية الفلسطينية، وبالتالي يصبح تفعيل الصراعات المذهبية والطائفية بديلاً عن الجهاد لتحرير فلسطين. وإنّ من اللازم أيضاً الإشارة إلى أن اشتداد التباين في المصالح بين الدول العربية والإسلامية يترك أثره البالغ على هذه القضية ويهدد أمل الفلسطينيين بيوم خلاصٍ من الصهاينة.

إننا اليوم نستشعر خطراً حقيقياً على فلسطين من خلال أمرين أساسيين:

أولهما: مصادرة الانتفاضات العربية من قبل الولايات المتحدة الاميركية ودفع الحراكات الشعبية إلى أتون الفتنة والصراعات الأهلية ليصب ذلك في النهاية لصالح منطق التجزئة.

ثانيهما: فساد منطلقات الجهاد وتشوه فكرته، إذ أصبح حل الخلاف مع الآخر لا يقوم إلا على الدم والقتل والقتال. فاختلطت القضايا والتبست المفاهيم. وغدا منطق العنف هو المنطق الحاكم للوصول إلى السلطة لإسكات الغير وإلغائه.

كل ذلك يعلن اليوم عن نفسه بوضوح. السياسي يريد السلطة وبعض علماء الدين الذين يملكون تأثيراً واسعاً على

الناس والذين لا يفرقون بين الحرية كحق طبيعي وبين التحرر كفعل إرادي يخضع لموازين دقيقة شرعية وأخلاقية وإنسانية ولمعايير ترتبط بالأولويات والمقاصد والوسائل، يريدون دولة إسلامية كيف ما كان وكأنهم يقولون للناس: «انهضوا فهذه هي اللحظة المناسبة ولو جاءت الدولة عن طريق الناتو أو الشيطان الرجيم»!

رحم الله مالك بن نبي الذي قال يوماً معلقاً على قيام دولة باكستان: «أنا لا يهمني دولة إسلامية، يهمني مصير الإسلام أكثر من دولة إسلامية».

نعم، هنا مربط الفرس وهنا القضية الأساس مصير الإسلام والمسلمين ومصير القضية الفلسطينية ومستقبلها. ونستحضر أيضاً كلاماً للإمام الخامنئي ما مضمونه: «أننا لا نعترف بالإسلام الذي يهادن إسرائيل».

من هنا تأتي الدعوة لجمع علماء المسلمين تحت راية فلسطين في سبيل أن تعود القضية الفلسطيينية إلى الواجهة والعلن، ورفضاً لمنطق إلغائها لإحلال قضايا أخرى بديلة عنها.

كما أن الدعوة من دمشق تحمل أكثر من مدلول، منها:

١ - تأكيد الموقف المبدئي من القضية الفلسطينية من بلد حمل همَّ تحرير التراب الفلسطيني وقدّم التضحيات الجسام في سبيل ذلك.

٢ ـ إدراك المخاطر المحدقة بهذه القضية حيث تعمل قوى الهيمنة الغربية والعربية على إخضاع القضية لمنهج التسوية وهو الأمر الذي ترفضه دمشق لأنه يعني انتصار منطق القوة على منطق الحق.

٣ ـ التأكيد على أن التطورات التي تجري في المنطقة يجب أن تصب في صالح القضية الفلسطينية لا خارجها.

٤ ـ رفض إعطاء الشرعية الدينية للتدخلات الأجنبية التي تهدف لتمزيق المنطقة وبث الفتن بها إدراكاً من علماء الدين المخلصين إلى أن كل تدخل أجنبي استعماري يستهدف بالضرورة ترسيخ القوة الصهيونية المهيمنة على موارد الشعوب العربية وإضعاف قدرة هذه الشعوب على المواجهة لاسترداد فلسطين.

٥ ـ استشراف آفاق المستقبل من خلال الوعي الديني والعقيدة الايمانية الصافية التي تلتقي مع إرادة الجماهير في الإصلاح والحرية والسيادة واستعادة كامل الحقوق المغتصبة.

إن مؤتمر علماء الشام ينبغي أن يؤسس وعياً جديداً ونظرة جديدة لفهم وقراءة التطورات في المنطقة بما يتناسب وينسجم مع العقيدة الإسلاميّة الصافية التي ترفض الظلم وتنادي بالحق والإصلاح والحرية والعدلة والمساواة، وتالياً الالتزام بقضية الشعب الفلسطيني من خلال المقاومة، والعمل في مسارات الوعي يلتقي مع الرهان على إرادة الشعوب التي يجب دفعها

لتعبئة مواردها الروحية والمادية لتتمكن من الدفاع عن نفسها والانتصار في معركة تحقيق الأمن والسلام.

جريدة السفير
١٠/٤/٢٠١٢

زيارة البابا إلى لبنان

التحوّل من العنف والكراهية إلى المحبة والسلام

تكتسي زيارة البابا بنديكتوس السادس عشر إلى لبنان أهمية استثنائية بعد التداعيات السلبية الخطيرة على مسيحيي الشرق. من العراق الذي أحدث الاحتلال الاميركي خراباً في علاقات أهله وتسبب بدخول آلاف المتشددين الإسلاميين الذين لا يرون أي إمكانية للتعايش مع الآخر والاعتراف بشخصيته الدينية. إلى مصر التي تعاني عنفاً قديماً بسبب الحساسيات الطائفية بين الأقباط والمسلمين على خلفيات دينية وثقافية واجتماعية. إلى سوريا التي لم تعد مكاناً آمناً لأحدٍ بعد الفتنة التي عمّت في أرجائها والصراع الدولي الذي يدور على أرضها. إذاً، مجموعة من التحديات القاسية التي يتعرض لها المسيحيون في المنطقة دفعت بالبابا إلى المجيء إلى لبنان للدعوة إلى السلام والتزام القيم الدينية التي تحمي الإنسان من الاضطهاد والعنف والقتل مهما كان انتماؤه العقيدي والاجتماعي والعرقي.

نحن أمام خطوة جديدة تقوم بها الكنيسة الكاثوليكية من

البوابة اللبنانية لتثبيت الوجود المسيحي والاسهام في نشر ثقافة الانفتاح والتعايش الديني والاجتماعي. الخطوة أساسية خصوصاً في هذه المرحلة المصيرية التي تواجه فيها المجتمعات العربية تهديداً جدياً على مستوى الانصهار والاندماج الاجتماعي، وعلى مستوى الوحدة الوطنية بعدما أدّت الفتن والتدخلات الخارجية إلى انقسامات وصراعات أهلية غير مسبوقة. فما كان يقال عن أن البلدان العربية تشهد تحولاً ديمقراطياً قد تبيّن للكنيسة بشكل خاص أنه ليس إلا تحولاً نحو العنف والكراهية، وأن من يتصدى للمسؤوليات الجديدة على الأرض ليس إلا جماعات تعمل وفق بنية تنظيمية مغلقة تعتمد على التعبئة الدينية الإلغائية وعلى منظومة عقائدية تستهدف تقسيم المجتمعات إلى وحدات ينمو في داخلها الخوف والقلق على الوجود والمستقبل.

وعلى الرغم من التطلعات التي كانت قائمة على مستوى العلاقات الإسلامية ـ المسيحية ونظر القيادات والمرجعيات الروحية في العالم إلى توسيع دائرة الانفتاح والتعاون واستكشاف أرضية جديدة تتجاوز ما كان سائداً، إلا أن ما يحصل اليوم في المنطقة خفّض من سقف التطلعات هذه، وأصبح الكل ممن كان حريصاً على تنمية العلاقات بين الأديان والمذاهب، لا يجد حرجاً من الاكتفاء بما كان موجوداً، وانخفض سقف التوقعات في سياق الدعوة إلى نهضة حقيقية

تجعل أبناء جميع الأديان يتعاملون مع بعضهم البعض في إطار وحدة إنسانية متفاعلة مع بعضها ومتفاعلة مع محيطها استناداً إلى منظومة قيمية وأخلاقية، إلى مجرد الحفاظ على الوجود الذي يؤمّن الحد الأدنى من العيش الكريم وممارسة الطقوس الدينية. إن حجم الأزمة القائمة والطروحات الايديولوجية المتنامية أدت إلى انحسار وتآكل مساحات كبيرة من العلاقات المشتركة بين المسلمين والمسيحيين وتضخم دوائر الصراع بهدف التفرد والسيطرة اعتقاداً أن العيش في إطار الجماعة الواحدة والرأي الواحد والمعتقد الواحد هو الضمان للاستقرار. ولكن هذا التحليل بعيد عن الواقعية، إذ إن هناك الكثير من المجتمعات البشرية من عرق واحد ودين واحد ولكن تمور فيها الاضطرابات وتتصاعد منها الأزمات بشكل كبير.

إذاً، المشكلة في المنطقة ليست مشكلة التنوع والتعدد الديني والثقافي فلطالما شكل ذلك مادة غنى ونقطة مضيئة ومشرقة عند أي مجتمع، ولكن كل المشكلة هي في التدخل الخارجي والمصالح السياسية التي لا تأبه بأي تخريب للعلاقات دينية كانت أم اجتماعية أم غير ذلك من أجل أهدافها الشيطانية.

لذلك نحن نأمل من زيارة البابا إلى لبنان أن تكون في إطار إعادة العلاقات الإسلامية المسيحية إلى التوازن العقلي والرشد الأخلاقي والقيم الإنسانية التي تبحث عن السلام

والمحبة والانفتاح والتعايش الأخوي. وأن يُعمل على تعزيز التقاء الارادتين الإسلامية والمسيحية لمواجهة التطرف والتشدد.

فمسؤولية الجميع اليوم من قيادات روحية وسياسية مخلصة في هذا المشرق العمل على إدامة الخط التوافقي التعايشي الأخوي بين مختلف المكونات الدينية. وأن تكون المصالح قائمة على الاعتبارات والموازين التي تحفظ للإنسان وجوده وحريته وكرامته. ولا شك أن لبنان الذي ينتظر هذه الزيارة بما تحمل من دلالات ورسائل سلام ومحبة وتعاون، يجب أن يضع في حسابه أن لا تكون أرضه وكراً للمتطرفين أو مكاناً يُستخدم لنشر الفوضى والعبثية والطائفية والحقد في المنطقة. المطلوب أن لا تكون الأرض اللبنانية أرضَ نُصرة للتطرف والتكفير فضلاً أن تكون الساحة اللبنانية التي عرفت بالتنوع والتسامح الديني إلى ساحة غارقة في التحارب والدموية. وهذا الأمر يحتم على المسؤولين في الدولة اتخاذ إجراءات فورية وحاسمة لكل من يسعى لتدمير النسيج الاجتماعي والديني بسكب نار الفتنة فيه. سواء كان ذلك عبر الشارع أو من خلال وسائل الإعلام التي يمكن أن يكون تأثيرها في التحريض والتعبئة أخطر من كثير من الوسائل الأخرى. وبالإجمال فإن زيارة البابا تضع جميع المخلصين والحريصين على أفضل العلاقات بين المسلمين والمسيحيين أمام تحديات لعل أهمها ما يلي:

أولاً: الانتقال بالعمل من إطار التوصيات والتوجيهات والنصائح العامة فيما يتعلق بمواجهة آفة التطرف والتكفير إلى العمل المؤسسي المشترك من أجل خلق ثقافة إيمانية وإنسانية تنغرز عميقاً في هذا الشرق، فلم تعد تكفي الخطب والمواقف التي تصدر عن نوايا طيبة من قبل مرجعيات روحية تدور موضوعاتها حول التعاون والتآخي، فيما أعداء الأديان يعملون في إطار مؤسسات وخطط مدروسة وبموازنات ضخمة لتفتيت وتمزيق وحدة الأمة والقيم السماوية السائدة فيها.

ثانياً: مواجهة هذا الخلط القائم بين ما هو ديني وما هو سياسي، فقد دأب الاستعمار للتدخل السافر في شؤون المنطقة بدعاوى دينية وكان الغرض سياسياً. وهكذا تعمل جهات إسلامية ايضاً فإنها تمزج بين الديني والسياسي لتحقيق أهدافها خصوصاً أن حركتها متقاطعة ومتداخلة مع حركة الاستعمار لجعل المنطقة في حالة من الجنون والغليان والعنف على كل المستويات.

والمطلوب العمل للفصل الكلي في الوعي والفكر بين منطق الدولة الاستكبارية المستغلة للدين وبين منطق الجماعات الدينية التي تستغل السياسية وأي توترات وأوضاع غير صحية لتنفيذ أجندات خاصة وتحقيق غايات غير محمودة.

ثالثاً: تعزيز مساحات التلاقي بين المسلمين والمسيحيين

وإذابة كل الاحتقانات التي يمكن أن يستفيد منها الأعداء أو يمكن أن تسبب عداوات دموية. لذلك المطلوب الاستثمار في مشاريع التلاقي لا الوقوف على خطوط تماس الأزمات المفتعلة.

رابعاً: إدارة العلاقات الإسلامية المسيحية في إطار العلاقات المستوية وتطوير الخطاب الديني والفكري، والترقي بالأفكار إلى أفضل المستويات لا أن تنعزل الجماعات الإسلامية والمسيحية في أطروحات دينية وفكرية متخندقة على ذاتها تؤسس في الحقيقة لصراع قادم لا إلى سلام يدوم.

خامساً: مواجهة الانقسامات والأزمات بالحوار السريع واستيعاب كل أزمة طارئة لوقف أي تفجر يمكن أن يؤدي بالعلاقات الدينية إلى مزيد من التعقيد.

وبالإجمال فإننا نأمل من زيارة البابا إلى لبنان أن تخلق موجة جديدة من الوعي الديني والثقافة الأخوية المتصالحة والمتسامحة، وأن تسدَّ الكثير من الفجوات السابقة على مستوى العلاقات الإسلامية ـالمسيحية. وأن تبث السلام والطمأنينة في نفوس جميع المؤمنين. كما أننا نتوسم من مواقفه الإشارة إلى مخاطر الصراعات الدينية والعنف الأهلي والعصبيات الجماعية التي تفرز ظواهر مسيئة لهذا الشرق المليء بالغنى الحضاري وبالقيم السماوية الأصيلة. ولا ننسى فلسطين التي تعتبر قضيتها

هي قضية الإنسان المظلوم في هذا العالم، فالبابا معنيٌ بالوقوف عند هذه القضية لقول كلمة الحق فيها. فإن المنطقة والعالم أجمع لن يسود فيهما السلام والأمن إلا من خلال إزالة الظلم عن الفلسطينيين المتمثل بالاحتلال الاسرائيلي، لتعود فلسطين مهداً للأديان السماوية وموئلاً لجميع المؤمنين الذين يتطلعون ليومٍ لا يكون على هذه الأرض إلا العدل والقسط والسلام.

٢٠١٢/٨/ ٧

الإسلام... والسلام!

تعكس صورة الصراع الدائر في المنطقة مجموعة من الظواهر الغريبة التي تقشعر لها الأبدان والنفوس. وكأنّ المنطقة تفرز كل ما لديها من وحشية وقساوة بالأفعال والأقوال. نرى اليوم تناقضاً صارخاً بين مبادئ الإسلام السامية وبين تصرفات المسلمين الهابطة التي جعلت الأمة أشلاء ممزقة مبعثرة لا تعرف للهدى سبيلاً، والأعداء في الخارج وعلى رأسهم أمريكا يتفرجون على حالنا بمزيد من الاحتقار والاستهانة بفعل هذه الفظاعات التي يرتكبها المسلمون بحق أنفسهم وكأن لا وحي نزل ولا نبياً جاء داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة.

ما نشهده اليوم من غلو ديني ومن تطرف فكري في مجال الاجتهاد الفقهي من جملة هذه الظواهر. باتت الاجتهادات في الساحة الإسلامية العامة موكولة لمشايخ أغرار يدعون إلى القتل ويسوغون الإرهاب ويدفعون نحو القطيعة بين المسلمين والمسيحيين، وعدم جواز مشاركة المسلمين مع إخوتهم المسيحيين في أعيادهم لدواعٍ لا تعبّر إلّا عن بنية إجتهادية

وفكرية ونفسية مهزوزة. لقد تم طمس معالم الإسلام الحضارية ومبادئه الإجتماعية وريادته الأخلاقية والقيمية المحفوظة في القرآن الكريم وسيرة النبي الكريم وأصحابه والتابعين لصالح منطق خالٍ من هذه الحسابات.

المسألة لم تعد أنّ هناك تصرفاً خاطئاً بل منهجاً شائعاً يلقى رواجاً كبيراً بين صفوف المسلمين. هؤلاء المشايخ الذين تحفل بهم الفضائيات وتنقل فتاواهم كبريات الصحف والمجلات يريدون جرّ المسلمين والمسيحيين إلى صدامات طائفية، وإلى بناء مناطق محاطة بالمتاريس والأسلاك الشائكة والجدر العالية.

لا شك أنّ هناك إفساداً للوعي وتمزيقاً للنسيج الإجتماعي وتشويهاً للإسلام الذي يظهر على لسان هؤلاء بلسان القامع المعادي الذي لا يقبل أحداً خارج عداد المسلمين.

إنّ الله عز وجل بعث رسوله موحداً لا مفرقاً، وراحماً لا ناقماً، ومؤلفاً بين الناس ليسود الاستقرار والسلام والمحبة والتآخي والتعاون في المجتمع، وهذه هي رسالة الإسلام وهذا هو الفكر النقي الذي يتوافق مع المجرى التاريخي فيما يتصل بعلاقة المسلمين والمسيحيين.

إنّ موجة التطرف نمت وتعاظمت في سياق مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي يعاند من أجل أن يجد له موضعاً في

المنطقة، والذي أراه أنّ هذه الموجة تعمدت ضرب القيم الإسلامية والعلاقات الأخوية بين المسلمين أنفسهم وبين المسلمين والمسيحيين، ودفعت بالشباب على وجه الخصوص للتصرف بعداوة تجاه الآخرين واستعمال العنف لتحقيق طموحات ذاتية على حساب المجتمع والوطن والأمة كما هو الحال اليوم.

إن دعوتي موجّهة للقوى الإسلامية الواعية والمتعلمة والمثقفة إلى التحرك وعدم الانكفاء والاكتفاء بالقدر البسيط من البيانات والمواقف الخجولة. إنّ هذه القوى معنية اليوم أن تؤكد بقوة:

١ - على وحدة الأمّة الإسلامية هوية وعقيدة وروحاً ومساراً ومستقبلاً ومصيراً.

٢ - على المشروع الحضاري للإسلام الذي يتميّز بالإنفتاح والتواصل والتعارف والتقارب بين مختلف المجموعات البشرية على أساس قيم الحق والعدالة.

٣ - على رفض الظلم بمختلف أشكاله ومستوياته ومن أي جهة أتى.

٤ - على مواجهة أعداء الله والإنسان الذين يعمدون إلى تفريق وتمزيق وتجويع الشعوب المستضعفة وحرمانها من الحرية والعلم والحياة الكريمة وعلى رأس الأعداء أمريكا وإسرائيل.

٥ ـ على ضرورة مواجهة التحديات الفقهية والفكرية بالمنطق والعلم والحجة ونشر الوعي في صفوف المسلمين وعلى التزام آداب الحوار والاختلاف وحرمة الدماء وعدم الخروج عن الحدود التي وضعها الله في القرآن الكريم بفتاوى التكفير والقتل الرائجة بقوة هذه الأيام.

٦ ـ على أنّ مقتضى الانتماء إلى الإسلام وتعاليمه يحتمان على جميع المسلمين البحث عن رؤية جامعة للخروج من الأزمات العميقة التي تواجهها المجتمعات الإسلامية بروح الإيمان والمسؤولية.

إنّ الرسالة الخاتمة ما كانت خاتمة إلّا لأنّها تحمل كل الكمالات والخير والسعادة للإنسان. والإسلام هو خاتمة الحضارات الإنسانية ومن اسمه يُعرف أن أحد غايات الإسلام الكبرى هي السلام ومن لا يملك الحب والوعي والثقافة والإيمان وإرادة الخير للآخرين لن يستطيع أن يصنع السلام ولا أن يحمل مشروعاً فيه القسط والعدل للبشرية جمعاء.

٢٠١٢/١٢/٢٨

تقديمات كتب
لبعض المؤلّفين

تقديم كتاب

«الإمامان علي والحسن عليهما السلام»

لمؤلفه سعيد العسيلي

وهذا الكتاب ملحمة أدبية تاريخية إسلامية تتناول حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته وحروبه في صفين والجمل والنهروان وخلافة الإمام الحسن عليه السلام منذ ولادته إلى وفاته مسموماً.

التقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين.

معرفتي بالشاعر الحزين ذات عمر قصير عرفته في رحلتنا إلى إيران الإسلام حيث تقيم الجمهورية الإسلامية في إيران كل عام مهرجان الشعر العربي وكان المهرجان الرابع بمناسبة عيد انتصار الثورة الإسلامية في ١١ شباط عام ١٩٨٢، في مدينة قم المقدسة.

وكان لنا معه لقاء امتد حوالي عشرين يوماً كان من أمتع

الأسفار وألذها، وفي أول لقاء التقيت به سمعته يحمد الله كثيراً، ويقول هذا من بركة آل محمد ﷺ قلت له: ماذا؟! قال: أن أُحشر بين عالمٍ وأصحاب كفاءة عالية في العلم والأدب وأنا أميّ، ليس له تفسير إلا بركة أهل البيت عليهم السلام، وسوف أحدثك عن هذا الأمي بشيء من الاختصار فأقول:

الحاج سعيد عسيلي من قرية نائية في جبل عامل اسمها «رشاف» وهي ككل قرية عاملية منبت للأدب ومقلع للشعراء وتمتاز أسرته بحبها للأدب وخاصة الأدب الحسيني الهادر، وكان له منذ حداثته ولع بالشعر الشعبي حتى الغاية فهو ينظم هذا الشعر بكل فروعه من العتابا والميجانا والمعنى والقرادي والقصيد والشروقي وسواه من الشعر الشعبي ويعرف أصل هذه الفروع ومتى نظمت وفي أي عصر شاعت ومن أية قرية انطلقت، وعندما تسمع هذا الأمي المتواضع تحسّ وكأنك أمام أحد حفاظ العرب القدامى الذين يعرفون الآداب والأنساب والأشعار وكنا خلال الرحلة نمتحنه فيرتجل على الفور بيتاً من العتابا نعين له قافيته فيدلنا على ذكائه الحاد وموهبته الرائعة.

ولا يخفى أن في الحاج سعيد على كبر سنه ووضوح الشيب في رأسه دعابة الشباب ولكن مع الإحتفاظ بالمروءة فهو يداعب إخوانه دون أن يخل بأدبه معهم ويحترم الآخرين عندما يعرف علمهم وورعهم ويقف عند حدوده معهم وهو لطيف المعشر دمث الخلق سهل العريكة فيه تواضع الأبرار لا شموخ المتنبي.

ولقد امتحن يوماً في محاضرة إذاعية تلفزيونية في إيران وأثناء وجودنا فرأيناه خبيراً بالتاريخ الإسلامي والعربي وخاصة شعراء الجاهلية وأصحاب المعلقات، وامتدت العلاقة بيني وبينه فكنا نتبارى أحيانا في نظم الأبيات من الشعر فطوراً يسبقني وتارة يتأخر عني وفي غالب الأحيان نكون كفرسي رهان مع فارق كبير بيني وبينه فأنا عالم وشاب وهو كما يقول أمي وكهل، ومع كل هذا كان يعيش وثبة الشباب وتطلعات العلماء حتى أطلق عليه شعراء المهرجان يومئذٍ لقب الشيخ الشاب وشعره يتمتع بسلاسة الأسلوب وسهولة المعنى على أنه غني بالمفردات اللغوية قديمها وحديثها وهو كغيره من شعراء هذا الجيل العصاميين الذين ينظمون على الفطرة دون أن يدخلوا مدرسة أو يعيشوا حياة أكاديمية وهي حالة طبيعية في جبل عامل الذي عاش أهله حياة الشعر والأدب والعلم طوال عهودهم، وعشق الأدب فنال مشتهاه وكان كل ذلك نتيجة جهد شخصي.

وقد جاءتني هذه الملحمة «علي والحسن عليهما السلام» وأنا في كثرة أشغالي وتبلبل أفكاري وأكد علي أخي الشاعر الحزين قراءتها ونقدها بيتاً بيتاً فكنت أجد فيها عصامية رائعة وشاعرية فياضة كما هي في ملحمته الأولى «مولد النور» وهي مطبوعة ومنشورة وملحمته الثانية «أبو طالب كفيل الرسول» وهي لا تزال مخطوطة كما عرفت.

والحق يجب أن يقال أن شاعراً يعتبر نفسه أمياً أنتج ثلاث

ملاحم تتضمن عشرة آلاف بيت من الشعر في أهل البيت لهو خليق بالاحترام والإعجاب.

فهو في هذا قد ضارع أصحاب الملاحم القدماء مثل ملتون صاحب ملحمة الفردوس المفقود أو فرجيل صاحب الإنيادة والالياذة لهوميروس والشاهنامة للفردوسي وخلاص بيت المقدس لتاسو ومللكة الجان لسبنسر.

والعجب من الشاعر الحزين أنه لم يدرس النحو ولا المعاني ولا علم العروض ولكن له شاعرية فياضة على غرار شعراء الصحراء شعاره السليقة والاذن الموسيقية.

وملحمته هذه تعد ثلاثة آلاف بيت تقريباً ولا يمكن لكثرة عدد أبياتها أن تخلو من اللحن في بعض الكلمات أو ركاكة في الأبيات التي عملت على إصلاحها وجهدت بقدر المستطاع أن تخرج هذه الملحمة في حلة أدبية رائعة.

والملفت للنظر أن الشاعر غني بالمفردات فهو لا يكرر القافية ولو جاز له ذلك معتبراً أن تكرار القافية من معايب الشعر وتقصير الشاعر، خذ مثلاً على ذلك فإن موقعة الجمل في هذه الملحمة تزيد على المائة بيت ومع ذلك لا تجد فيها قافية مكررة، وسوف يقرأها القارىء فتأخذه الدهشة من إحاطة الشاعر بكل فصول القصة ومناقشته للكثير من الآثار والأخبار، على أنه ربما تجلت شاعريته فأبدع وينشرح صدرك وأنت تسمعه

يغرد على فنن أهل البيت ﷺ ولا بد أنك سوف تغفر له بعض الهفوات إما لضعف في الفكرة أو ضعف في سبك العبارة وذلك بسبب تحكم النص التاريخي لأنه لن يجتمع الخيال والتاريخ في الشعر ذلك أن الملاحم تدور على الأساطير حيث يسبح الشاعر ولا رقيب عليه إلا ذوقه وهذه الملحمة محورها التاريخ والتاريخ حرام على الخيال.

غير أنك ستعيش مع الشاعر الحزين كما تعيش مع أصحاب الملاحم الكبرى: شموليته في العرض وإحاطته بالموضوع وفهماً واضحاً للتاريخ الإسلامي صنعه ونظمه في عقود من المرجان ونثر ذلك ولاءً يتدفق حباً لآل محمد ﷺ وستقرأ في كل ذلك جبل عامل بعصاميته وولاءه للرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار، ولا بد لي أن أترجم ما قلته في هذا البحث بقصيدة من نظمي فإليك هي:

غَرِّد سعيد فآل بيت الهادي	كهف الطريد ونجعة المرتاد
وانشر مناقبهم فتلك شموسهم	تولي السنا من نورها الوقاد
فلقد عهدتك بلبلاً من عامل	طرب الأنان لشدوه المعتاد
فلنعم ما اخترت القرين مصافحاً	ومجاهداً في الشعر خير جهاد
رتل على سمع الخلود قصائداً	ممزوجة في لذة الإنشاد
ما روضة كانت لآل محمد	إلا سجعت بغصنها المياد
ونظمت في حب النبي ملاحماً	حيرت فيها خيرة النقاد
وعدلت نحو المرتضى لتغب من	أنفاسه الفضلى وخير الزاد

إذ صغت من سحر البيان سبائكاً ولآليء الفصحى بحرف الضاد
ومضيت تسبك من نُضار بيانه عقد الجمان مبارك الميلاد
فهو الإمام المرتضى من ذكره هزّ الجماد وحل في الأكباد
وهو الوصي المجتبى من اسمه ملأ الزمان لرائحٍ أو غاد
ما شع في أفق الفضائل كوكب وأزال كل ملفعٍ بسواد
إلا بحب محمد ووصيه غوث اللهيف وكعبة القصّاد
يا أيها الشيخ السعيد تحية لمقامك السامي على الأعداد
حيث اتصفت بحب آل محمد ونشرت كل فضائل الأمجاد
ونظمت في مدح الزكي مقاطعاً تروي بلاغتها أوام الصادي
من ذا يضاهي سيداً من هاشم سبق الزمان وغاص في الأبعاد
فأبوه حيدر والبتولة أمه والجد طه أعظم الأجداد
لبس التقى درعاً طوال حياته فجثا لديه أكابر الزهاد
خلصت له العلياء في محرابها وتزينت في أنفس الأبراد
أعطته ميراث النبوة وانثنت وكأنما كانا على ميعاد
فانشر فضائلهم وحج ببابهم فهم الملوك وسادة الأسياد

عفيف النابلسي
بيروت في ١٥ ذو الحجة
سنة ١٤٠٥ هـ

تقديم كتاب

«سلوك الموحّدين الدروز في الدنيا والدين»

للشيخ مرسل نصر[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فإنّ الإنسان الموحّد يطلّ على الكمالات الحقيقية، ويرتبط بالحقائق الأساسية، بقوة البرهان العقلي والسلوك العملي، ليرد إلى حياض المحبة الشهودية ولذائذ الأنس الربانية ومعدن العظمة الإلهية.

ولا شك أنّ من يسير على هذا الدرب الموصل إلى السعادة الحقة والحياة الكريمة، يستمد من الله قوة وعزماً وكرماً وفهماً. والمشغول بتهذيب نفسه وتزكية عمله والساعي إلى جناب قدسه،

(١) رئيس محكمة الاستئناف الدرزية العليا سابقاً.

المتخلي عن أسر الحياة المادية والرذائل الخلقية والمكائد النفسانية والشيطانية، سوف يزداد شموخاً وصعوداً نحو عالم الملكوت.

ومتى سمعنا أنّ موحّداً قد خبا نوره أو تراجع حضوره. فإذا اغتذى المؤمن من هواطل النور ونأى عن كل معمور ومكسور لن يعرف معنى للانحراف ولن يستوحش في أي اعتكاف، يُفاض عليه من ماء القرب ومعين الهدى ومعارف الحق جلّ وعلا.

والذي كرمه الله من عليائه سوف يصبر على بلوائه، ليحظى بجميل جزائه وكريم لقائه. نعم لا بد من التأمل والاعتكاف والتدبر والائتلاف،ولا بد لعشاق الحق تعالى أن يلزموا أنفسهم بالتقوى التي تليق بكرامتهم بل بزعامتهم. وقد ورد في الحديث القدسي: «لايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي سمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها. انا أقول للشيء كن فيكون وهو يقول له كن فيكون».

والموحدون كانوا ولا زالوا جزءً لا يتجزأ من مجمع الحق، فيهم علماء قرآنيون ونجباء أخلاقيون استوحشوا من النعم العميمة وتقشفوا في حب الله في حلّة كريمة.

وشيخنا الجليل وأخونا الحبيب الشيخ مرسل من رحم

الأخلاق، وصلب الآفاق، الموزون في صورته، المعروف في سيرته، والطهور في سريرته. لقيناه فوجدناه مرآة صافية، ونعمة من الله وافية، فارتضيناه صديقاً صدوقاً، وأخاً في الله والحب رفيقاً. ولا زال مذ عرفته على تواضعه وأخلاقه، طيب السيرة طاهر السريرة، التواضع ملبسه، والمسجد مسكنه، والقرآن طبيبه، والعرفان قريبه.

وعندما يتفضل علينا بزيارة محبة يخجلنا عندما يجلّنا ويسرّنا بقدر ما يريدنا. والحق يقال أنّ هذا الرجل الجليل كان رئيساً للقضاء الشرعي على مذهبه، والقضاء جوهر المخبر الإنساني وهيهات أن يسلم القاضي من المزلق ولو بالنظرة، أو ميل القلب حتى قيل: القضاة أربعة، واحد في الجنة والثلاثة في النار. ومع كل هذه المسؤولية الجسيمة والطريق الدقيقة لم نعلم من ظاهره إلا خيراً، وهو عاكف في صومعته، دائب في مدرسته ذائب في مكتبته، يكتب ويقرأ ولا يشبع. وقد أتحف المكتبة بكثير من كتبه الأخلاقية والفقهية، وكان صرير قلمه يطن في آذان الموحدين تعالوا إلى الكنوز المخفية وذوقوا طعم الخلوات المحمدية وعيشوا معي بغار حراء العرفانية، حتى تتبوأوا بأفياء الجنان وتتلذذوا بجيرة الرحمن.

وفي هذه الرحلة جاءني ومعه تحفة من عنصر أخلاقه وجواهر أحقافه، قدّمها لي وهي لا تزال تحتاج إلى تحقيق. فقرأتها في مدة وجيزة واستفدت من قراءتها لما فيها من شهي

الثمار، ورفاقة الأخيار، وقد وجدت فيها ما لذّ وطاب من نكات وقواعد فقهية ومواعظ وفوائد أخلاقية صادرة من قلب يتوهج بالإيمان والحب والإيمان. وقد أوغل في بحوثه عن الاسرار فوجدها عند الأئمة الأطهار وخصوصاً صادقهم وباقرهم ومولاهم باب مدينة العلم، الذي جمع فوعى من علم الحقيقة ما لو أخذ الناس جزءً يسيراً منه لكانوا في مقام الأولياء ومصاف العلماء، ولكم أفاض في كلامه عن عظمة إمامه ليرتاح في ظله في جزئه وكله والله الهادي وإليه معادي.

ولاحظت وأنا أتصفح كتاب شيخنا الجليل الموسوم بـ «سلوك الموحدين الدروز في الدنيا والدين» أنّ الموحدين ظُلموا في التاريخ كما ظُلم غيرهم من الفرق الإسلامية التي أُخذت بجريرة التعصب المذهبي البغيض واستبداد الحكام الذين غرتهم السلطة وأعمتهم الشهوة فراحوا باسم الدين يقتلون ويشردون وينفون ويسرقون ويبثون في الأمة بذور التعصب وشرور التحزب حتى غدا المسلم لا حرمة له في نفسه وماله وعرضه.

وكان بنو أمية الذين قامت خلافتهم على الزور والخيانة والخديعة والإرهاب، كلما سئلوا عن سبب فعلهم للظلم قالوا: لا تقوم لنا دولة إلا بذلك، وإلا ببغض علي وطرد الناس من حوله حتى لا تُعرف له فضائل، فإذا عرف الناس فضائل علي ذهب ملكنا وتركونا.

وبسبب الظلم والاضطهاد والتعصب البغيض لجأ الموحدون الدروز إلى العزلة السياسية والاجتماعية والدينية، فعاشوا قروناً في قمم الجبال والوديان والمغاور هرباً من الأذى وحرصاً على العقيدة والأتباع.

وأنا أشعر اليوم بارتياح كبير إلى الانفتاح الذي يعيشه الدروز على إخوتهم في بقية المذاهب الإسلامية، وكلي أمل أن يعم التقارب الإسلامي والتفاهم الفقهي والمعتقدي وينتعش الفكر الديني والتوحيد الرباني الخالص الذي أكده أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب نهج البلاغة بقوله:

«الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَه الْقَائِلُونَ، ولَا يُحْصِي نَعْمَاءَه الْعَادُّونَ، ولَا يُؤَدِّي حَقَّه الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُه بُعْدُ الْهِمَمِ، ولَا يَنَالُه غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِه حَدٌّ مَحْدُودٌ، ولَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ ولَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، ولَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ، فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِه، ونَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِه، ووَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِه.

أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُه وكَمَالُ مَعْرِفَتِه التَّصْدِيقُ بِه، وكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِه تَوْحِيدُه، وكَمَالُ تَوْحِيدِه الإِخْلَاصُ لَه، وكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَه نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْه، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّه غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللَّه سُبْحَانَه فَقَدْ قَرَنَه، ومَنْ قَرَنَه فَقَدْ ثَنَّاه ومَنْ ثَنَّاه

فَقَدْ جَزَّأَه، ومَنْ جَزَّأَه فَقَدْ جَهِلَه ومَنْ جَهِلَه فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْه، ومَنْ أَشَارَ إِلَيْه فَقَدْ حَدَّه ومَنْ حَدَّه فَقَدْ عَدَّه، ومَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَه، ومَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْه كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ وغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ».

وهذا أصل التوحيد ولبّه وجوهره، فمن أخذ بظاهره ابتعد عن الشراكة والوثنية، وسلم من كل بلية، ومن غاص في بحوره وانغمر بنوره فأولئك هم المؤمنون حقاً والموحدون صدقاً. فحي هلا حي هلا بنجوم تلمع أنوارهم في الخلوات، خلو بربهم فكساهم من نوره. ولازم هذا التوحيد الإيقان بالأصول الثابتة التي لها مقام الكليّة والاصالة والانتقال بالعمل إلى الفروع كالصوم والصلاة والحج والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاية لقول الباقر عليه السلام: «فروع الدين خمسة: الصوم والصلاة والحج والزكاة والولاية وما نودي بشيء كما نودي في الولاية». ولهذه الفروع مكارمها ولوازمها.

فلتكن جموع الموحدين في لبنان وسوريا وفلسطين وفي كل مكان على هذا الأساس موقنة، وعلى هذا الطريق عاملة، ولتظهر دينها وعرفانها وأخلاقها. وتعمل على إعادة كل ما ضاع واستدراك ما فات من بناء المساجد والحج إلى بيت الله الحرام لكل مستطيع من أهل التوحيد. وليؤدي الموحدون زكاة مالهم

على فقرائهم وليصوموا شهر رمضان مع بقية المسلمين، ولتبدأ الروح الخيرة تحرك هذه الأجيال المحبة للحق، ولينفروا إلى مساجد الفقه ليغرفوا منها كنوز العلم والمعرفة والشريعة، كما هو الحال في النجف وقم والأزهر الشريف وكل مدارس العلم في العالم الإسلامي، ليعود الدروز إلى واحة الأمة حاضرين فاعلين.

وبالعودة إلى كتاب شيخنا الذي قسّمه إلى فصول وأبواب، ناقلاً رؤية الدروز فيما يتعلق بمبدأ التوحيد، فمفهوم الشر، والتقية بمستوياتها ومراتبها وأحوالها وظروفها، إلى نظرية التقمص التي أخذت جدلاً في أوساط المسلمين إلى جملة من المسائل الفقهية والمعارف والأداب الأخلاقية التي تغني المكتبة الإسلامية بمزيد معرفة بالمسلمين الدروز ومعتقداتهم وأفكارهم وعباداتهم وأخلاقهم.

ولا شك أنّ مثل هذه المحاولات العلمية تساعد على التقريب وتساعد على الأعمال المقارنة بين الفرق الإسلامية المختلفة. وقد سبق لي أن أشرت في أكثر من موضع وفي أكثر من مقام إلى عدد من المسائل الخلافية التي أرى ضرورة تسليط الضوء عليها وإعادة النظر فيها مجدداً على مستوى علماء ومشايخ الدروز التزاماً بوحدة إيمان المسلمين وبوحدة معتقداتهم ولا سيما نظرية التقمص في جانبها الفلسفي وفي نتائجها على المستويات الروحية والأخلاقية والاجتماعية. وكذلك الامر في

مبدأ التقية لئلا يتعدى المفهوم حدود دائرته فيتحول إلى غير الغرض والهدف منه.

كذلك وقد لاحظت بعض الاختلافات الجزئية في ما كتبه شيخنا العزيز. فعلى سبيل المثال ذكر في ص١١٨ نص الرسول الأكرم محمد ﷺ: «كلامي لا ينسخ كلام الله وكلام الله ينسخ كلامي وكلام الله ينسخ بعضه بعضاً». والرأي الأسد فيما قرره علماؤنا وأعلامنا في مختلف المدارس الإسلامية ما أجمعوا عليه من تقييد المطلق وتخصيص العام. وهذا ليس من باب النسخ بالمعنى العرفي. فالحكم الثابت بالقرآن يُنسخ بالسنة المتواترة أو بالإجماع القطعي الكاشف عن صدور النسخ عن المعصوم عليه السلام كما هو الحال عندنا. وهذا الأمر ليس فيه إشكال لا عقلاً ولا نقلاً. أما بخصوص الخبر الواحد فلا نُثبت به النسخ.

وأشار سماحته في مورد آخر على حرمة الرجل مقاربة زوجته في حال الحمل. ولم أجد عندنا ما يوجب ذلك اللهم إلا إذا كان ذلك من باب النصيحة لإبعاد أي أذى محتمل بالمرأة أو بالجنين. والحكم نفسه يسري في مسألة الإرضاع أيضاً، فنحن لا نرى أي مسوغ لحرمة المجامعة حال الإرضاع لعدم النص بالحرمة. إذا لا بد من الإشارة أن الحرمة التكليفية شيء والامتناع الأخلاقي بناء على الإضرار شيء آخر. نعم إنّ من حق المرأة الاعتراض والامتناع إذا كانت المقاربة داعياً لإلحاق

الضرر، وعلى الزوج أن يلاحظ الوضع الخاص لزوجته لئلا يكون ذلك سبباً للظلم من جانب أو لانعدام الود من جانب آخر.

أما حرمة تعدد الزواج فإنّ ذلك مردود بنص الآية الثالثة من سورة النساء: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾[1]. التي لا يوجد ما يدل على نسخها لا من آية أخرى ولا من سنة شريفة، كما لم يُعرَف عن المسلمين وعلمائهم أنهم تعاملوا في هذه القضية وفق مبدأ الحرمة.

وأما فيما يعود لحق الزوجة في الفسخ بمدة سنة من تاريخ بلوغها سن السابعة عشر فمخالف للنص المأثور عن النبي ﷺ: «الطلاق لمن أخذ بالساق». نعم يحق للزوجة تطليق نفسها فيما لو اشترطت في متن العقد أن تكون وكيلة عن زوجها في تطليق نفسها فيما إذا خالف الزوج ما تعاهد به لزوجته من الأمور المشروعة ووافق الزوج على ذلك.

وأما حرمة إرجاع المطلقة فأيضاً فيه مخالفة قرآنية صريحة فقد ورد في الآية ٢٢٨ من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ

---

(١) سورة النِّساء: الآية ٣.

وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].
فالآية واضحة كل الوضوح بصحة إرجاع المطلقة لزوجها إذا أراد الزوج الإصلاح. هذا وقد يكون الباب مفتوحاً لحوار علمي وفقهي أعمق في غير هذا المقام الذي نبدي فيه مجدداً تقديرنا وحبنا للشيخ العزيز، داعين له بمزيد من الجهد في هذا السبيل والله الموفق والمستعان.

عفيف النابلسي
صيدا ١٥ آذار ٢٠١١

(١) سورة البَقَرَة: الآية ٢٢٨.

تقديم كتاب

«رياض الحكماء ونزهة العلماء»

للشيخ بدري أمان الدين[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف النبيين وأعز المرسلين سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين.

أما بعد.. فقد زارنا الشيخ الفاضل بدري أمان الدين قبل خمس سنوات تقريباً ومعه بعض الأفاضل من مشايخ

---

(١) ولد الشيخ بدري أمان الدين في بيروت في منطقة فرن الشباك في الرابع من أيار ١٩٦١ م، من عائلة متدينة ومحافظة تعود جذورها إلى آل عبد الله التنوخيين.
تلقى علومه الابتدائية في مدرسة مار نهرا للراهبات في فرن الشباك، ثم انتقل في المرحلة المتوسطة إلى المدرسة المركزية في بيروت حيث تابع دراسته.
إبان الحرب الأهلية تهجر من بيروت سنة ١٩٧٦ وانتقل مع عائلته إلى الجبل وأكمل دراسته في جامعة (newnational college) لصاحبها الدكتور زياد ذبيان.
بدأ تخصصه الديني الشرعي على يد جده المرحوم الشيخ ابو سليمان علي أمين الدين الذي كان عالماً حافظاً زاهداً ورعاً ويجيد خط النسخ. بعد وفاة جده انتقل إلى إكمال تخصصه على يد المرجع الشيخ ابو حسين أسعد الصائب.

الموحدين ودون سابق معرفة وصلّوا معنا صلاة الجمعة وأقمنا لهم حفل غذاء احتفاءً بهذه الزيارة الأخوية بين أهل الحق والعرفان.

وكانت بداية مشرقة حيث تم خلالها اتمام تواصل الأرحام وتعاطف الأخوال والأعمام. ثم زرناهم في الجبل الأبي فوجدناهم كما هو معروف عنهم أصحاب الشمم وبيوت الكرم وبتنا معاً ومعه ثلّةٌ من ذوي الشأن نعمل للمِّ الشمل وجمع الأهل.

= كما وأكمل علومه الدينية لدى عدة مراجع حيث كان للشيخ أبو محمد جواد ولي الدين وللقاضي المذهب الشيخ مرسل نصر الفضل الأكبر في انفتاحه على المجتمع الإسلامي عامة بعد أن كان دوره مقتصراً على اللقاءات والمحاضرات المنغلقة على الطائفة ذاتها. كما استفاد من خبرتهما الطويلة وسعة معرفتهما ومداركهما على الساحتين الإسلامية والوطنية.

ألقى العشرات من المحاضرات الفقهية والاجتماعية والتقريبية والتصحيحية، وحث على إقامة شعائر الاسلام على طول البلاد وعرضها.

نال شهادة الدكتوراه بشرف أول برتبة علامة حافظ من جامعة الحضارة الاسلامية المفتوحة بتاريخ ٢٧ رمضان ١٤٣٢هـ. أتمّ كتابة نسخة من القرآن الكريم بقلم النسخ برواية حفص عن السلمي عن زيد بن ثابت عن الإمام علي عليه السلام. كما أنجز نسخة من كتاب نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام.

صدر له العديد من الكتب الإسلامية منها رياض الحكماء، الحقوق الصغير، القيامة رجعة وتقمص، وله كتب قيد الطباعة تحت عنوان: فقه الأئمة سراج الأمة، و آل عبد الله في لبنان.

من أهدافه إقامة مجمع إسلامي يجمع جميع الأطياف الإسلامية لتدريب القواسم الجامعة المشتركة بين المذاهب وذلك بوضع الأمور الخلافية جانباً وبترك خصوصية الاجتهاد لكل مذهب.

وكلما تقاربنا أكثر كلما فاح المسك والعنبر وفتحت أبواب من الخير وأغلقت أبواب من الشر واستمر الشيخ الفاضل بكرائم أخلاقه وحلاوة صفاته بالتفضل علينا بين الفينة والأخرى تطبيقاً لصلة القربى وتعظيماً لتوثيق العروة الوثقى، مما أشعل فينا جذوة الحب وأحيا شجرة القرب. ثم خبرناه فإذا هو أهل للمعرفة ومحل للتكريم ينحدر من شجرة عريقة لها أفنان، وينتحي سبل الطريقة بكل عنفوان، مجدٌ في تأديب ذاته محافظ على كرائم صفاته، لعله يصل بعد ذلك إلى عالم التزكية ويفوز بجوهر المحبة الحقيقية.

وبما أن الشيخ الجليل ولوع بقصص الأخيار من السلف الصالح ليقدمها لوحات فنية بخطه الجميل الذي أغبطه عليه وسبق أن قدم إلينا المصحف الشريف بخطه وخط حريمه المصون، وكذلك نهج البلاغة وتفضل متكرماً بخط الصحيفة السجادية التي عرفت بزبور آل محمد لمولانا الإمام علي بن الحسين المشهور بالسجاد وزين العابدين عليه السلام.

فإني آمل أن يستثمر عطاؤه ليبقى خطه الجميل موضع الاعتزاز بالخط والمخطوط معاً ولتبقى علاقته بأئمة الهدى ومصابيح الدجى كما هي عندنا في أعلى صفائها وأشد بهائها.

واليوم إذ يحلق الأخ الفاضل فيلاحق سيرة أهل الحق الذين يجاهدون أنفسهم للوصول إلى خلع أبدانهم ليصلوا إلى علم الحق

والحقيقة ثم يقدمها كنتف الزنابق وفوحة الحبائق ويقدم كتابه الجميل في عرض مثير وجذب أسير وعنوان أخّاذ ليقدمه إلى الطبع ويظهر منه الحب والجمع ويكون ملء البصر والسمع.

وطلب مني أن أقدم لهذا الكتاب مقدمة تساعد الكاتب على لمعان اسمه وتشرح باختصار ما حشر أو اشكل من رسمه.

وعندما قرأت الكتاب راقني شكلاً وعرضاً وتمنيت على الشيخ الجليل لو كان فيه نفحة من علم وتوثيق للنقل لكن مع ذلك فقد جرت العادة في كتابه مثل هذا التقوّل من الحكم أن تترك بلا شرح إلا شرح الاسم وبلا توثيق لأن الكاتب الذي ينتقل من روض إلى روض ومن زهرة إلى قرنفلة لا يحتاج في عرضه إلا إلى الصورة المنمقة والجميلة ويكفيه جمالاً نقل ما أحسه بذوقه.

وهي عادة درج عليها صاحب مجاني الأدب وتبعه على ذلك أكثر كتاب اللئالئ ومنهم العقد الفريد والأمالي في اللغة والأدب وغيرها وغيرها وهم كثر. ولكن طمعاً للفائدة واغراءً للقارئ سوف أقدم وباختيار بعض الفوائد العلمية عن أهل الذوق والعرفان تكريماً للكاتب والكتاب وبياناً للحق والتوحيد.

الشريعة والطريقة والحقيقة:

يعتقد فقهاء الإسلام أن المقرّرات والقواعد الإسلامية تتلخص في ثلاثة عناوين:

أولاً: أصول العقائد والذي يتكفل به علم الكلام في المسائل المرتبطة بأصول العقائد يجب على الانسان الايمان والاعتقاد بها عن طريق العقل ايماناً واعتقاداً راسخين لا يتزلزلان.

ثانياً: الأخلاق، وفي هذا القسم تم تبيان القواعد والأمور التي تحدد وظائف الانسان بصدد الفضائل والرذائل الأخلاقية وقد سمى العلامة الجليل والمتأله الفيض الكاشاني بعلم المعاملة... وذكرها العالم الأخلاقي والعرفاني الشيخ مهدي النراقي في كتابه جامع السعادات تحت عنوان: أجناس الفضائل وتربية النفس.

ثالثاً: الأحكام المتعلقة بالأعمال والسلوك الخارجي للانسان ويتكفل بها علم الفقه هذه الأقسام بعضها منفصل عن البعض الآخر. فقسم العقائد يرتبط بالعقل والفكر وقسم الأخلاق يرتبط بالنفس والعادات والملكات، وقسم الأحكام يرتبط بالأعضاء والجوارح.

والعرفاء يسلمون بالاصطلاحات الثلاثة ويقولون كل الطرق تنتهي إلى الله وكل المصالح والحقائق، ما هي إلا نوع من أنواع الشرائط والامكانات والوسائل والموجبات التي تسوق الانسان إلى الله عز وجل، كما يعتقد العرفاء أن باطن الشريعة هو طريق ويسمونه بالطريقة، وآخر هذا الطريق

الحقيقة اي التوحيد بالمعنى الذي يتلمسه ويصل إليه بعد الفناء والاخلاص وخلاص العارف من ذاته وأنانيته. لكن العرفاء في مجال العقائد لا يعتقدون بكفاية الاعتقاد الذهني والعقلي الصرف. ويدعون أن ما يجب الاعتقاد به يجب الوصول إليه لا بد من العمل على إزالة الحجب والاستار بين تلك الحقائق وهكذا.

والعرفان العملي هو الذي يوضح ارتباط الانسان وعلاقاته بنفسه وربه وبالعالم. والعرفان في هذا القسم يشبه علم الأخلاق بزيادة وضع آلية، طي المنازل العشرة أو السبعين المذكورة عندهم. حيث يتضح للسالك كيفية الوصول إلى القمة المنيعة للانسان وهي التوحيد ومن أين يجب أن يبدأ، وما هي المنازل والمراحل التي يجب طيها بالترتيب. وهنا قدرة أهل العرفان وتفوقهم على علماء الأخلاق وبالطبع يجب على السالك أن يترسم خطى انسان كامل وناضح وبصير ومستوعب وقد طوى هذه الطريق من قبل باشرافه ومراقبته وإذا لم يرعَ هذا الطموح وهذا الجهد انسان كامل في هذا الطريق ففي ذلك خطر الضلال والانحراف. إن العرفاء يدعون الانسان الكامل الذي يرافق المسافرين ويرشدهم، الانسان الكامل الذي يرافق المسافرين ويرشدهم يدعونه حيناً بـ «طائر القدس» وحيناً آخر «بالخضر عليه السلام».

«كن في رعاية همتي بالطائر القدس سفري طويل والنوى

لم تبله نفسي عند الشدائد. لا تفارق صحبة الخضر تأمن ضياعاً في الظلام وقسوة الوعر»[١].

وكما ذكرنا فالعرفاء الإسلاميون تقدموا على علماء الأخلاق حيث كشفوا عن آلية القلب[٢]. وقالوا أن الانسان يصل إلى مرتبة خاصة من الاستشراق والاستلهام إذا طوى منازل خاصة وهي:

١ ـ اليقظة، ٢ ـ التوبة، ٣ ـ المحاسبة، ٤ ـ الانابة، ٥ ـ التفكر، ٦ ـ التذكر، ٧ ـ الاعتصام، ٨ ـ الانقطاع، ٩ ـ كبح جماح النفس، ١٠ ـ درك اللطائف.

هذه بعض منازل السالكين وقد عدها بعض إلى سبعين وبعضهم إلى سبعماية وفيه تفصيلات كثيرة نحن الآن بغنىً عنها. وإليك بعض الملاحظات:

١ ـ إن لطي المنازل أثرين بارزين في الوقوف على المعارف:

أ ـ إن الباصرة الظاهرية تستطيع رؤية الأشياء القريبة فقط كما لو كنت بسيارتك على «دهر البيدر» وكانت هناك غطيطة

---

(١) إشراقات كربلائية للمؤلف، ص٥٣ ـ ٥٤.

(٢) ليس المراد بالقلب الحجم الصنوبري الذي له وظيفة ضخ الدم إلى أجزاء البدن بل المراد نفس الإنسان وروحه الواعية وإليه يشير القرآن الكريم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٧] والمقصود الإدراك الواعي.

ـ ضباب كثيف ـ فلا يمكن رؤية البعيد من الأشياء في هذا الضباب وأحسنهم من يرى أمامه ويمشي بهدوء تام حتى لا يصدم غيره، وقد لاحظنا كثيرين لم يعودوا يبصرون عن قريب فصدموا غيرهم أو صدموا الحائط أو سقطوا في الهاوية.

ب ـ أما الباصرة فهي مستعدة لرؤية البعيد مهما كانت كثافة الضباب. إن النفس الانسانية قادرة على التعرف على الحقائق الموجودة في مجال الحس والعقل. لكن العصبية والهوى والمعاصي تعمي الانسان فيعود منكراً للمحسوس والمعقول.

فأدنى أثر لطي المنازل، هو صيرورة الانسان إنساناً خالصاً مجرّداً عن الهوى والعصبية التي تعمي فيصير كاملاً لا يطلب إلا الواقع ولا يعشق إلا الحقيقة سواء كانت لصالحه أم لا. وافقت الانتماء العرقي والقومي والعشائري أم لا.

٢ ـ إن طي المنازل يعطي للنفس قوة واقتداراً على الاتصال بعالم الغيب واشراق صورٍ ومعانٍ منها عليها ويلهم مفاهيم وحقائق لا يتوصل الانسان العادي إليها بأدوات المعرفة الحسية والعقلية.

وعلماء الأخلاق يوصون بأمور، ويحذرون من أمور: يوصون بالايثار والتقوى والشجاعة والاستقامة، ويحذرون من البخل والانحلال والجبن والانخذال ولكنهم يكتفون بالايصاء

بتلك والتحذير من هذه من دون الافاضة في كيفية توصل الانسان إليها. وأنه في ظل أي عامل يقدر على تحصيل الفضائل وتحت أي حافز يستطيع اجتناب الرذائل.

وهذه النقطة قد أهملت في كتب الأخلاق فلا تجد فيها سوى الدعوة إلى الفضائل ولزوم اكتسابها والابتعاد عن الرذائل ولزوم اجتنابها. من دون بيان الطريق التي يصل بها الانسان إلى تلك الأمنية الكبرى.

وقد سد العرفاء الإسلاميون هذه الثغرة وبينوا الوسيلة التي يبلغ بها الانسان تلك الأمنية وهي سلوك المنازل العشرة المتقدم ذكرها ليصير الانسان انساناً كاملاً ذا حسن وعقل وشهود. وقد ورد في نصوص صحيحة عن النبي الأكرم ﷺ عن حب العلم والمعرفة الشيء الكثير.

وإني آمل أن يلعب هذا الكتاب دوراً ثقافياً في هذا الجبل وغيره من أصقاع العالم حيث تبدأ النقطة الأولى من قراءة النصوص وما فيها من رشح الأخلاق العالية وعلو النفوس الغالية ثم تعود الفائدة من خلال التذكر والتفكر والاعادة والتدارس والتأمل حيث تبدأ حلقات الذكر ويتنامى الذوق والفكر وعندها يحس المتعلم بالتقدم التدريجي في صعوده ويزداد حماساً باتباع نجوده وعندما يصحو فؤاده وتشرق رؤاه يتحول إلى عالم المثل ويتآخى مع الأخلاق والنُبُل ويسير سيراً تصاعدياً كما يسير

الملاك وفي رحلته السماوية تشرق نفسه ويعظم أنسه وكلما قرب من الحبيب كلما أحس بلاعج الشوق يؤنسه ويثير فيه الرغبة بالوصول إلى عالم الحق إلى اللذة الكاملة والحضور الخاص والشهادة التي تشرق فيها شمس الحقيقة من عمق الأزل فيتساوى مع الأبدال ويتذاكر مع عصائب أهل الحق ويتحول في مجراه إلى أخراه ويترك لباس الذلّة الجسدية ويلبس لباس أهل الحق والمعرفة ولذة الحضور والشهود أعظم من لذة حور العين في جنة عدن عند المليك المقتدر.

هذا ما عنَّ بالبال مع كثرة البلبال بكثرة الهموم وعوارض المصائب وقلة الوفاء وابتعاد الناس عن جوهر الدين وفهم القرآن والانشغال بالقرش والفلس والدولار والدينار وكل بريق يلمع يفسد النفس ويرخى ظلاً ظليلاً كثيفاً على النفس والقلب لا تنقشع إلا بقراءة القرآن والصلاة بالليل والناس نيام.

فهيا بنا هيا بنا لقطع الطريق مع طائر القدس قبل احلال العوارض وكثرة القوارض ومنع الترحل وقلة الرجال واسترخاء الهمم واصطناع المعاذير واختلاف المقادير.

والله اسأل أن يوفق الشيخ المفضال لمتابعة دروسه واتراع كؤوسه من الماء الذي إذا شربه لا يعطش أبداً وخصوصاً إذا كان من المولى الأكبر والعلم الأزهر الساقي بيده أولياءه يوم المحشر مولانا وإمامنا وسيدنا وسيد العالمين بعد رسول الله

الولي والوصي وقسيم الجنة والنار أبو الحسنين والد السبطين أمير المؤمنين وسيد الموحدين علي بن ابي طالب عليه اللصلاة والسلام.

والسلام على أهل الحب والوداد والذوق والإشراق ورحمة الله وبركاته.

في ١٩ نيسان ٢٠٠٨
الموافق ١٤ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ

تقديم كتاب

«العوالم الثلاثة»

للشيخ توفيق علوية

بسم الله الرحمن الرحيم

طلب مني ولدنا العزيز والحبيب صاحب الفضيلة الشيخ توفيق علوية كتابة مقدمة لكتابه «العوالم الثلاثة». وهو بوجهه السموح وقلبه النيّر وسلامة فطرته وعميق إيمانه وثقته العالية بالله ووضوح شخصيته وقوة حضوره قد استدعانا لاستكشاف كتابه الموسوم بـ «العوالم الثلاثة».

وقد تكون قيمة هذا الكتاب في إعادة بناء مشهد الوجود الإنساني في مراحله وحلقاته الأساسية، وفي الإضاءة على حركة الإنسان في سيره التكاملي إلى الله بناء على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (١).

فإن من المهم جداً الإحاطة بمسيرة الخَلْق مبدأً وبرزخاً

---

(١) سورة الانشقاق: الآية ٦.

ومعاداً. فإن ذلك لا يتصل بالجانب الغيبي في نظرة الإنسان وما يُحلّق في فضاءات المجرّد والمنتظر والمؤجل غير الملموس، وإنما يتصل بالحياة العملية للإنسان فكراً وطريقاً ومذهباً وسلوكاً في كل الأبعاد التي تجعل الإنسان يعي حقيقة وجوده ودوره ووظيفته في هذه الحياة.

وإذا كان الإسلام ديناً ينظم شؤون الإنسان على أساس حياة كريمة وآمنة وغنية بالمعاني القيميّة، فإنه ينظمها في إطار ما سيكون وما سيطرأ أيضاً. وإذا كان الإسلام يتناول الجوانب الإجتماعيّة والإقتصادية والمعنوية في كل أبعادها في عالم الدنيا فإنه لا شك يطل على بقية العوالم الأخرى ليجعل حياة الإنسان ذا هدف وغاية. و من خلال القرآن الكريم وما وصلنا من أخبار عن طريق رسول الله ﷺ وأهل بيته الميامين يستمد الإنسان صورة واضحة بأن حياته ليست جامدة وساكنة ومتوقفة عند حدٍ من الحدود بل هي سائرة ومتحركة ومتبدلة في إطار التكامل والهداية الإلهية بناءً على قوله تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1].

ولهذا مدلول مهم وأساسي في كون العقيدة كلٌ مترابط ومتصل، لا يشوبها الاضطراب والتفكك بين ما هو مادي وما هو روحاني. بل تأكيد على أن المادي والروحاني من أصل

(١) سورة طٰه: الآية ٥٠.

واحد ومن مشيئة واحدة وأنها كلها تخضع في أطوارها ومراتبها لإرادة الله وحكمته في خلقه.

وأعتبر في ختام كلامي الموجز أن شيخنا العزيز استطاع استجماع مجموعات أدبية وقرآنية وحديثية في سبيل دفع القارىء ليزداد معرفة بهذه العوالم بطريقة سهلة وميسرة منطلقاً من عالم الدنيا لأنه المعبر والممر للعوالم الباقية وما أحسن ما قاله الإمام علي في هذا المجال: «ففيها وجدتم ولغيرها خلقتم إن المرء إذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدّم».

فطوبى لهذا الجهد الذي ينضم إلى جهود علمائنا الإعلام في هذا المضمار.

والله أسأل أن يوفّق عزيزنا صاحب الفضيلة الشيخ توفيق، مباركاً له هذا العمل الذي ينفعه في دنياه وآخرته ويبقى له ذكراً جميلاً ويعطيه رفعة عند أهل العلم والفضل والعاملين في سبيل خدمة الإسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عفيف النابلسي
صيدا ٢٠١٠/٦/١٢

تقديم كتاب

«دموع في ليالي الحزن»
أحداث مقتل الإمام علي عليه السلام
للشيخ محمود مهنا

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ أرومة الناس دليل على شخصيتهم وفكرهم وثقافتهم فأُولوا النزاهة والصلاح والعقل والحكمة ينحدرون - في الغالب - من أُسرٍ كريمة طيِّبة مهذّبة، وذو السوء والقُبح والشر غالباً هم ممّن نشأ في أحضان غير سليمة وانحدر من أصول لئيمة. ويتجلى القسم الأول في الأنبياء، الذين هم عِلْية وجوه التاريخ وقمم الشرف والكرامة والعزّة ومن تفرّع من دوحاتهم ورسخت جذوره في بيوتاتهم الرفيعة.

وكانت لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام جذورٌ ضاربة في سلالة طاهرة كريمة هي سلالة ابراهيم عليه السلام فهو كرسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك. وإبراهيم عليه السلام الراغب إلى الله،

المغرم بحُبِّه وهو الواضع سنّة الحجّ رمز العبودية ومقارعة الشرك. وهكذا فالحديث عن جدود النبي ﷺ حديث عن جدود علي عليه السلام. والكلام عن سلالته ﷺ هو بعينه الكلام عن سلالة أخيه ووصيه عليه السلام.

قال ﷺ في أسلافه: «إنّ الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كِنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»(١). وهكذا فبنو هاشم هم صفوة اختيرت من بين صفوة الأسر ورسول الله ﷺ وعلي عليه السلام هما صفوة هذه الصفوة. قال الإمام عليه السلام واصفاً سلالة النبي ﷺ: «أسرته خير الأسر وشجرته خير الشجر نبتت في حرم وبسقت في كرم لها فروعٌ طوال وثمرٌ لا ينال»(٢). وهذا الثناء ـ بحق ـ وهو ثناءٌ على سلالته عليه السلام أيضاً حيث قال رسول الله ﷺ: «أنا وعليّ من شجرة واحدة». وقال ﷺ: «لحمه لحمي ودمه دمي».

وعلى هذا يكون بيت رسول الله ﷺ وبيت علي عليه السلام هو بيت النبوّة وأرومتها أرومة النور والكرامة وهما المصطفيان من نسل ابراهيم وبني هاشم من خصائص ومزايا سامقة كالطهارة والفصاحة والسماحة والشجاعة والذكاء والحياء والعفة والحلم

---

(١) سنن الترمذي: ج٥، ص٥٨٣، ح٣٦٠٥؛ كفاية الطالب: ص٤١٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ص ٩٠.

والصبر وأمثالها ناهيك عن منزلتهما المرموقة العليّة من قبائل العرب بأجمعها.

جاء في المناقب لابن المغازلي عن مصعب بن عبد الله: هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصّي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النّصر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن نضر بن نزار بن معد بن عدنان واسم ابي طالب عبد مناف[١].

الأب:

عبد مناف بن عبد المطلب المشهور بأبي طالب أحد العشرة من أولاد عبد المطلب[٢]. وكان عبد المطلب الوجه المتألّق في قريش وله المنزلة السامقة في أوساطها ثم جاء بعده ولده أبو طالب فورث تلك المكانة الاجتماعية.

وكانت أسرة أبي طالب أوّل الأسر التي اجتمع فيها «زوجان هاشميان».

تولّى أبو طالب رعاية النبي ﷺ الذي فقد أبويه في طفولته ثم فقد جدّه ولمّا بعث أمين قريش ﷺ لم يدّخر أبو طالب

---

(١) المناقب لابن المغازلي: ج٥، ص١.
(٢) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١١؛ شرح الأخبار: ج٣، ص٢١٩.

وسعاً في دعمه ومؤازرته على ما هو بسبيله في سيرته الجهادية الشاقة[(١)].

وآمن به أرسخ الايمان وأصحر بذلك في شعره وكانت منزلته الاجتماعية السامية بين قريش وأهل مكة ودعمه السخي لرسول الله ﷺ حائلين أصليين دون وصول الأذى إليه من قريش[(٢)].

الأم:

فاطمة بنت أسد وكانت إمرأة لبيبة صلبة العقيدة نقيّة القلب برّة مبجلة احتضنت النبي ﷺ في طفولته فكان يحبها حباً شديداً حتى قال فيها «وكانت أمي بعد أمي التي ولدتني»

وكان يثني على حنانها وشفقتها عليه قائلاً: «ولم يعد بعد أبي طالب أبرّ بي منها»[(٣)].

وكانت أول إمرأة بايعت النبي ﷺ وهاجرت إلى المدينة مع علي وفاطمة مشياً على الأقدام ولما توفيت هذه المرأة العظيمة كفنها رسول الله ﷺ ثم وضعها في قبرها بعدما اضطجع فيه.

---

(١) مروج الذهب: ج٢، ص٢٨١؛ أنساب الأشراف.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ج٣، ص٥٧.
(٣) أسد الغابة: ج٧، ص٢١٣٢، ح٧١٧٦..

وكان علي رابع ولد لهذين الوجهين المتألقين في التاريخ الإسلامي، إذ زيّن حياتهما بهاءً وسناءً، وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً.

والحديث طويل ومهم مع هذين الأبوين الذين استراحا طويلاً في الأجواء الأخلاقية وعملا معاً لصون النبي من القتل والاغتيالات تقديراً لمشيئة الحق سبحانه حتى يتم وعد الله ولو لم يكن لهذا البيت العريق إلا الحفاظ على جوهر النبوة لكان من أفضل الأعمال وأهمها ولولاهما لكانت النبوة في خبر كان، ولا شك أن مشيئة الله التي رعت النبوة ومسعفاتها برعاية الحق فمع كل الحرب والمؤمرات على النبوة ظلت النبوة في حالة الاطمئنان كأن دوران الأرض مطيع لها يمسكانها ويحركانها ساعة يشاؤون فمرحا مرحاً ببيت يربي وينعم ويحافظ ويقدم ويمنع الأشرار ببريق سيفه وعظيم هبته وكانت قريش تحت ظلها يهابونه ويعظمونه لشجاعته وسماحته وكبير رأيه.

علي عليه السلام:

هل بإمكانك كتابة التاريخ الإسلامي أو الفقه الإسلامي أو شيء في الإسلام دون علي عليه السلام وهل باستطاعتك أن تسرد وقائع التاريخ دون المرور بعلي، وهل غنى السيف إلّا في يده أو طرب القلم إلا من مداده؟!

وهل يحاصر علي في فتح مكة أو هوازن أو حنين، وهل

هناك شاردة أو واردة في هذا الإسلام المديد المالئ الدنيا وشاغل الناس إلا كان علي أصل وجودها أو همزة وصلها؟!

فهو في المعارك ضيغمها، وللرايات قائدها، وفي الحملات فارسها المرتجى، وهو في الشجاعة أوحدها، وفي الكلمة مبدعها، وفي الليالي محييها وعابدها، فهو راهب الصومعة المتنوّر والمستغرق المحفوف بنور الحق، وهو في المعركة الضارب بالسيفين الطاعن بالرمحين: جُمعت في صفاتك الأضداد. وهو في الحلبة لاعبها وأولها، وفي الفصاحة سحبانها. وأما في البلاغة فهو إبن بجدتها وقطب رحاها ويكفيك منه نهج بلاغته وسماء فصاحته وبعد أن انقطع الوحي والتحق النبي ﷺ إلى جنة الخلد، هطلت عليه وحده ديم المعرفة وأصبح مصدرها الوحيد ـ فقهاً، علماً، أدباً، فضلاً، زهداً وورعاً. فهو الأستاذ في المسجد والإمام في المحراب والخطيب على المنبر يتكلم والحق في لسانه ويحارب والحق في سنانه، كيف لا كان الحق معه وفيه: علي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيفما دار. وهل يمكنني بعد أن أتحدث عن علي في غزوة أو حربه أو يختصر علي في قصة أو واقعة أو سانحة أو قصة تاريخية أو قصيدة مديح يضوع منها الأدب أو مأثرة يفوح منها طيب ذلك النسب.

وإذا كان علي شامخاً شموخ الجبال ومجنحاً تجنح الصقور وعالياً كالقمر ومشرقاً كالشمس وكريماً كالريح الهبوب

وعطوفاً كالأم ورؤوفاً كالأب وصلباً كالصخر وكبيراً كالجبل وإذا كان علي محور هذه الأمة وميزانها وصمام أمانها ونجمها المضيء وشمسها المشعة وإذا كان منهجه التواضع وملبسه الاقتصاد وطعامه الجشب وطريقته الزهادة يتفجر العلم بين يديه وتحنو شآبيب البلاغة حواليه.

إذن ماذا نقول في علي وقد قال الكتّاب في المتنبي: أنه مالي الدنيا وشاغل الناس، وهل المتنبي إلّا نقطة من ذلك البحر الخضم أو حصاة من ذلك الجبل الأشمّ؟!

فيا سيدي عذراً عذراً إذا جفّ القلم، وحوصر الكلم وخبا البيان وتلعثم اللسان، فعذرنا فيك أنك من لا يُنال كعب قداسته، ولا يلحق غبار سياسته، يكل فرسي عن الجري فيك، ولساني عن القول بقوافيك، غير أني أعدم القارئ ولا أحرمه لمحة من بهاك ولفتة من سناك.

هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها

مع الكتاب:

جاءني الأخ والتلميذ الشيخ رضا حدرج ومعه دفتران كبيران طالباً مني أن أقدم لهذا الكتاب مقدمة و«هو دموع في ليالي الحزن» واستثقلت الكتاب وقلت إذا دُعي أهل المعرفة لمناقشة أطروحة يهربون إذا كان الكتاب فوق ثلاثماءة صفحة، دعه، وقل للمؤلف الشيخ محمود مهنا تقبلنا هذه الهدية ولكن

لا بد من الصبر ولكنه لن يكون طويلاً بل جميلاً. ووضعت الدفترين أمامي حتى إذا سنحت الفرصة نبتدئ وإذا لم تتعثر البداية فالنهاية قريبة.

وعدت إلى عملي اليومي وساعاتي المتأنية فإذا جاءني أخ من أهل العلم شكوت إليه وضعي وتواضعت لأهل العلم وبالأخص الشباب منهم لتكون سنة من السنن الحسنة وتمادت عليّ الأيام وصرت استرق النظر إلى الكتاب الأول أو قل الدفتر الأول حتى عنّ لخاطري لمسة فوجدتها مغرية فانفتحت على الدفتر بشوق وإذا به يستغرقني وأنسى ثقله المادي حينما أضعه على شمالي أو يميني. وبين الرفق والصلابة لمست بريقاً لمع من بعض المفردات فجذبتها بلذة الحصول على المعرفة فوجدت أن قدرة المؤلف ليست طائشة فصرت بين الحين والآخر أتماهى مع هذا التلميذ الراشد والمحتمي بعلي عليه السلام، للقاعدة التي وضعها أهل الأدب «مَنْ يركن إلى علي يستغني ويستقوي» وهكذا بعد أن تقطعت بنا السُبل عدنا نغرف من معين عليّ الذي لا ينضب.

إن الأخ مهنا وجد طرقاً كثيرة في هذا التاريخ فساعدته لكنه ابتعد عن التجدد والابداع ومع ذلك فالكتاب يُقرأ لما أحدث فيه المؤلف ولما حشد من طرائف التاريخ.

التآمر في اغتيال الإمام:

في الإرشاد: عن أبي مخنف لوطِ بن يحيى واسماعيل بن

راشد وغيرهم: أن نفراً من الخوارج اجتمعوا بمكة فتذكروا الأمراء فعابوهم وعابوا أعمالهم وذكروا أهل النهروان وترحموا عليهم فقال بعضهم لبعض: لو أنّا شرينا انفسنا لله فأتينا أئمة الضلال فطلبنا غرتهم فأرحنا منهم العباد والبلاد فتعاهدوا عند انقضاء الحج على ذلك. فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا أكفيكم علياً، وقال البرك بن عبد الله التميم: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، وتعاقدوا على ذلك وتوافقوا عليه وعلى الوفاء واستعدّوا لشهر رمضان في ليلة تسع عشرة، ثم تفرّقوا.

والذي حصل فقتل عمرو بن بكر الذي كان مكلّفاً بقتل عمرو بن العاص ـ شخصاً آخر كان قد ذهب إلى الصلاة بدلاً من ابن العاص وجرح برك بن عبد الله معاوية وأما ابن ملجم فقد استطاع تنفيذ مهمته بتحريض من قطام وكانت كما قيل عنها إمرأة جميلة وهذه الرواية متفق عليها من قبل جميع المؤرخين المسلمين تقريباً.

وهل كانت القصة على هذا المنوال حقاً أم أنّ الحقيقة شيء آخر؟ وهل كان التخطيط من الخوارج كما ذكرت النصوص لاغتيال الإمام عليه السلام ولم يكن لمعاوية أي دور؟ وهل الحكايات التي حيكت حول قطام في اغتيال الإمام كانت صحيحة أم أن المخطط الأصلي لاغتيال الإمام كان معاوية وكل ما جاء في

التاريخ عن الفاعلين ليس إلا تلفيقاً يُراد منه تبرئة ساحة معاوية من جريمة اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام.

يميل بعض المؤرّخين المعاصرين إلى تأييد الفرضية وينكرون أساساً دور الخوارج في عملية الإغتيال هذه.

أشار الدكتور شهيدي إلى هذا الافتراض قائلاً: «لا أريد القول كما قال المؤرخ الأباضي المعاصر الشيخ سليمان يوسف بن داوود بأن الخواجر كانوا أنصار الإمام علي عليه السلام ولم يشتركوا في قتله وإن قبيلة بني مراد التي ينتمي إليها ابن ملجم لم تكن من الخوارج وإن قصة ابن ملجم ورفيقه من تلفيق جلاوزة معاوية لإخفاء الحقيقة عن الناس. وقد عرضت بعض الانتقادات على كتابة هذا في لقاء جمعنا بيننا في الجزيرة وكتبتها له في رسالة أيضاً، ولكن لو أن احداً قال بأن مؤامرة شهادة الإمام علي عليه السلام ليست بالشكل الذي شاع على الألسن فإنني لا أستبعد صحة قوله».

وبعد نقده لبعض النصوص المتعلقة بدور قطام في مؤامرة الاغتيال هذه كتب ما يلي: «مجموع هذه التناقضات يؤيّد كون هذه القصة ملفقة. ويبدو أن قصة قطام قد ابتدعت وربطت بقصة أولئك الثلاثة لكي تتقبلها الأذهان اكثر. يبدو أن على الباحث الذي يريد الاقتراب من الحقيقة عند تتبع واقعة قتل الإمام ومعرفة سببها أن يبحث في دور الخوارج ومعاوية وقطام في قتل الإمام كلاً على حدة».

الخوارج:

فقد نظّم عمران بن حطام قصيدة في الثناء على عمل ابن ملجم جاء فيها:

يا ضربةً من تقيٍ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوان
إني لأذكره يوماً فأتحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

لا شك في أن مثل هذه المسألة لو كانت من اختلاق قصاص معاوية لما بقي هذا الموضوع التاريخي المهم خافياً.

دور معاوية:

لا يوجد من الناحية التاريخية سند يمكن أن يعزو بوضوح مؤامرة قتل الإمام إلى معاوية ولكن توجد ثمة قرائن لا يمكن للباحث أن ينكرها في ضوئها دور معاوية في هذه الواقعة، وبلا شك في أن معاوية كان بصدد قتل الإمام وذلك لأنه كان يعلم جيداً بأن لن يصل إلى الخلافة طالما بقي عليٌ حياً.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن قتل الإمام لم يكن أمراً ميسوراً بل أن تجربة واقعة صفين أثبتت لو أن هذه الحرب تكررت لانتهت قطعاً بموت معاوية والقضاء عليه. وعلى هذا فإن أفضل السبل لإزاحة الإمام عن الطريق هو اغتياله، وهو عمل سبق له أن جربه مع مالك الأشتر الذي يعتبر من أفضل العناصر التي وقفت إلى جانب الإمام.

وكان أنجح أسلوب لتنفيذ الخطة هو تنفيذها على يد أنصار سابقين للإمام أي على يد أنصار سابقين للإمام أي على يد بقايا الخوارج الذين دخلوا مؤخراً في صراع مع الإمام وكانوا يفكرون بالانتقام لقتلاهم وتوفرت لديهم الدواعي الكافية للإقدام على هذا العمل الخطير والخبيث.

دور الأشعث:

إن دور الاشعث في فرض التحكيم على الإمام واختيار أبي موسى للتحكيم وما تبع ذلك من وقائع يتم عن علاقاته الخفية بمعاوية وعلى هذا الاساس فإن علمه المسبق بعملية الاغتيال قبل وقوعها وعلاقة ابن ملجم به قبل تنفيذ العملية يعد مؤشراً على وجود يد لدمشق في تلك الحادثة.

نقل ابن ابي الدنيا عن أستاذه عبد الغفار قال: سمعت غير واحد يذكر ان ابن ملجم بات عند الاشعث بن قيس فلما أسحر جعل يقول له اصبحت.

ونقل الكثيرون من المؤرخين أن ابن ملجم عندما مر بالاشعث بن قيس عند المسجد قبل الاقدام على عملية الاغتيال قال له: النجاء النجاء لحاجتك فقد فضحك الصبح، ولما سمع حجر بن عدي مقالته عرف مقصوده فقال له: قتلته يا أعور، وخرج من ساعته ليبلغ الإمام بالقضية ولكن الإمام دخل من باب آخر وعندما وصل حجر كان الرجل قد ضرب الإمام وانتهى الامر.

حول تعريض الإمام نفسه للقتل:

يستفاد من النصوص التاريخية والحديثية التي مر قسم منها بأن الإمام علي عليه السلام كان من غير شك على علم بشهادته وكان يعلم بوقتها وأنه كان يعرف قاتله أيضاً.

وحتى إن بعض خواصه كانوا على اطلاع بهذا الامر[١].

ومن هنا فلا بد من التساؤل عن السبب الذي جعل الإمام يعرض نفسه للقتل؟

ألم يكن مكلفاً بوقاية نفسه من القتل لكي تنتفع الامة الإسلامية من بركات وجوده أكثر فأكثر، الا يعتبر ذهابه إلى المسجد في الليلة التي كان يعلم بأنه سيقتل فيها القاء للنفس في الهلكة؟

وهذا التساؤل يثار أيضاً حول سائر الائمة عليهم السلام وهو أنهم اذا كانوا على علم بشهادتهم لماذا لم يتوقوها؟

مبادئ علم الإمام:

قبل الاجابة عن التساؤلات أعلاه ينبغي الاجابة عن سؤال آخر وهو من أين يعلم الائمة الكيفية التي سيقتلون فيها؟

والجواب الإجمالي عن هذا السؤال، فهو أن مبادئ العلوم

---

(١) راجع الإرشاد، للمفيد: ص٣٢٢.

المتنوعة الواسعة عند أهل البيت عليهم السلام هي عبارة عن تعاليم الرسول صلى الله عليه وآله التي انتقلت إليهم عن طريق الإمام علي عليه السلام إلى سائر الأئمة عليهم السلام وكتاب الجفر وكتاب الجامعة والإلهام.

وخلاصة الكلام ما قاله الإمام الرضا عليه السلام[1].

سأل أحدهم الإمام الرضا عليه السلام إن امير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله والليلة التي يقتل فيها والموضوع التي يقتل فيه وقوله لما سمع صياح الأوز في الدار صوائح تتبعها نوائح وقول أم كلثوم لو صلّيت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلّي بالناس فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح وقد عرف عليه السلام أن ابن ملجم قاتله بالسيف كان هذا مما لم يجز تعرضه؟! فقال: ذلك كان ولكنه خُيّر في تلك الليلة لتمضي مقادير الله عزّ وجل.

ولقد جاء في بعض النسخ كلمة (حُيِّر) بدل (خُيِّر) وعلى هذا فإن قول الإمام يدلّ بكل وضوح بأنه طرأت عليه تلك اللحظة حالة لم يبق معها عليه تكليف بدفع القتل عن نفسه لكي يجري التقدير الإلهي.

وهكذا رضي الإمام بمقادير الله ولم يعد بإمكانه ان يدفع الخطر الملاحق لروحه فالتسليم لأمر الله هي الوظيفة الفريدة.

(١) الكافي: ج١، ص٢٥٩.

وشاء الله ان يرتفع علي إلى الجنة في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر!

همّ في الدنيا وراحة في الآخرة فسلام عليه كلما أشرقت الشمس أو غربت.

فمرحى بالأدب والعلم وكل فنون المعرفة ومرحى بالعلم يتجلى والتاريخ ينجلي، وسلفاً تهانٍ حارّة للمؤلف مع دعائي بالتوفيق والتجديد والتفوّق والحمد لله أولاً وآخراً.

عفيف النابلسي
صيدا
١٨ /ربيع الثاني/ ١٤٣٤هـ
الموافق: ١/ آذار/ ٢٠١٣م

الفهرس

المقدمة ٥

مقالات في الدين والمجتمع

دور عليّ عليه السلام في فتح مكة ٩
مقدمة ٩
البداية ١١
فتح مكّة ١٣
صلح الحديبيّة ١٤
وقوع الحرب ١٤
أبو سفيان في المدينة ١٥
دور عليّ عليه السلام ١٧
الدور الأول ١٧
الدور الثاني ١٩
الدور الثالث ٢٣
الدور الرابع ٢٨
الدور الخامس ٣٠

الدور السادس ٣٣
الدور السابع ٣٥
وقفة عتاب خفيفة مع محمد حسين هيكل ٣٨
الهجرة اليهودية إلى فلسطين والهجرة المعاكسة ٤١
مؤامرة الهجرة ٥١
عملية اليهود الفالاشا ٦٢

مقالات في الفكر والسياسة

التوصيات الجديدة.. أوطان مذهبية! ٧٣
المقاومة.. ونهاية إسرائيل ٧٧
ممالك العرب بين غزّة وسوريا! ٨٢
الدستور السوري الجديد يضع سوريا في سكة الصواب والإصلاح ٨٦
مؤتمر علماء الشام والتحديات الراهنة ٩١
زيارة البابا إلى لبنان التحوّل من العنف والكراهية إلى المحبة والسلام ٩٦
الإسلام... والسلام! ١٠٣

تقديمات كتب لبعض المؤلّفين

تقديم كتاب: «الإمامان علي والحسن عليهما السلام» ١٠٩

تقديم كتاب: «سلوك الموحّدين الدروز في الدنيا والدين» .١١٥
تقديم كتاب: «رياض الحكماء ونزهة العلماء» ١٢٥
تقديم كتاب: «العوالم الثلاثة» ١٣٦
تقديم كتاب: «دموع في ليالي الحزن» ١٣٩

صدر للمؤلف

١ ـ الإمام موسى الكاظم عليه السلام ـ عرض وتحليل

٢ ـ الإمام علي الرضا عليه السلام ـ عرض وتحليل

٣ ـ مشاهدات وتجارب ـ لقطات من سيرة الإمام الصدر

٤ ـ خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمد باقر الصدر

٥ ـ بحوث في شخصية الإمام الخميني

٦ ـ علاقة المسيحيين بأهل البيت عليهم السلام

٧ ـ الكلمة الزاهرة في العترة الطاهرة

٨ ـ صلاة الجمعة في عصر الغيبة

٩ ـ شعر الخلود

١٠ ـ خمينيات

١١ ـ ملحمة الزهراء عليها السلام

١٢ ـ ملحمة الإمام الصدر

١٣ ـ إخوانيات

١٤ ـ نفحات عاملية

١٥ ـ إشراقات كربلائية

١٦ ـ طرائف وظرائف

١٧ ـ زيد بن حارثة

١٨ ـ حاجة المبلغين

١٩ ـ ومضات مشرقة من حياة علماء جبل عامل

٢٠ ـ حوارات عقائدية هادئة

٢١ ـ القواعد الفقهية على ضوء القرآن والسنة

٢٢ ـ الأصول العامة في علم الحديث وعلم الرجال

٢٣ ـ فقه أهل البيت ﷺ (مجلدان)

٢٤ ـ فقه الأئمة ﷺ (ستة مجلدات)

٢٥ ـ النبي محمد ﷺ حاضن أهل الكتاب وحاميهم

٢٦ ـ المواريث على فقه الإمامية

٢٧ ـ على طريق الحياة ـ كلمات في السياسة والدين

٢٨ ـ شذرات مضيئة ـ صفحات من وحي التبليغ وماضي الذكريات

٢٩ ـ الاجتهاد والتقليد

٣٠ ـ فقه الجهاد في الإسلام

٣١ ـ تحديات الوحدة وثقافة الحوار

٣٢ ـ المسك الفواح لتطييب القلوب والأرواح

٣٣ ـ الأربعون حديثاً

٣٤ ـ نظرات ورؤى في قضايا المرأة

٣٥ ـ طريق العروج إلى الملكوت ـ شرح رواية عنوان البصري

٣٦ ـ أوراق متناثرة (هذا الكتاب)